7me Année No. 300 | Lundi - 3 - 4 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٠٠ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ صفر سنة ١٣٥٨ — الموافق ٣ ابريل سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــــرس

كذبة إبريـــــل

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

فى أول إبريل يحلو لبعض الناس أن يكذبوا ، ويطيب لهم أن يزعجوا بهذا الكذب إخواناً لهم ، أعزاء عليهم ، أثراء عندهم . ولو اختصوا بالكذب المثير أو المزعج ، أو الذى يورث المتاعب ، غير الأوداء والأصدقاء : أى الخصوم والأعداء ، لكان هذا أقرب إلى العقل وأشبه بما ينبغى أن يكون ، فما يبالى المرء على أى حال من السوء يكون عدوه ، وكلما زاد الشر الذى يقع فيه أو يُمْنى به العدو كان ذلك أشرح لصدر عدوه وأثلج لقلبه . ولكن الصديق شىء آخر ، والإنسان جدير أن يخجله أن يركب صاحباً له بدعابة مؤذية ، وأن يضحك ويفرح بما ينزله بهذا الصاحب من السوء

وقد لقيت فى أول إبريل هذا من المتاعب ما بغضه إلى ، حتى لتمنيت على الله أن يلهم الناس حذف هذا الشهر كله ، وإسقاطه أجمه من تقويم العام

صبَّحنى واحد ، وأنا أجلس إلى مكتبى ، بأن برقية وردت بأن ألمانيا قذفت بجيشها على أرض بولندا ، وأن القتال يدور بين الطلائع النازية وقوات الدفاع ، فسألته : « أتتكلم جادًّا ؟ »

قال وهو يشير إلى ورقة فى يده « هذه هى البرقية . اسمع ترجمتها »

فتفرست فى وجهه وحدجته بنظرة فاحصة ، فلم أر ابتساماً ، ولا ما يشى بأنه يهم بالابتسام . فقلت : « إنى كنت ، وأنا آت

إلى هنا ، أحدث نفسي بأن أكتب في التصريح الذي ألقاه المستر تشمبرلن أمس في مجلس العموم البريطاني ، وكنت أريد أن أقول إنه من العوامل المرجحة لكفة السلم ؛ ولكنك تروى لى نبأ غريباً ، لا يكاد يقبله عقلى ، فهات لى هذه البرقية لأقرأها فإني لا أكاد أفهم ، وأحسبني سأجن ، فما أعرف لماذا تجازف ألمانيا هذه المجازفة التي ليس لها أي موجب ، ولا من ورائها أي خير لها أو لسواها »

وانتزعت منه الرقعة فإذا هي قديمة وتاريخها أول مارس ، وليس فيها أي ذكر لألمانيا أو بولندا !. وماذا يبالى صاحبنا هذا أن يهدم لى الدنيا ، وأن يحيلها حولى أنقاضاً ، وأن يدير لى رأسى حتى ما أعود أعى شيئاً ؟!

وبعد نحو ساعة ، طُلبت إلى التليفون ، فقمت إليه ، فإني أكره أن تكون آلته على مكتبي ، أو في الغرفة التي أنا فيها ، ولا أعرف ما هو أشد إزعاجاً لى من صوت جرسه حين يدق فجأة ، وقلت وأنا أضع السماعة على أذنى « نعم »

فسمعت صوت زوجتي يقول لى : « أبو خليل ... مبروك ! »

فسألتها مستغرباً : « ماذا ؟ مبروك إيه ؟ »

قالت : « بالهناء والرفاء والبنين ! لماذا لم تخبرنا لنفرح لك معك ؟ »

قلت : « عن أي شيء تتحدثين ؟ رفاء ، وبنين ... ؟ ! ما هي الحكاية ؟ »

قالت : « برقية وردت بتهنئتك بعروس جديدة ... هل أقرأها لك في التليفون ؟ أو يكفي أن أذكر لك اسم مرسلها ؟ ! وقبل البرقية دق الباب رجل وسأل عنك ، فعرف أنك خرجت فكلفنا أن نبلغك تهنئاته القلبية . فلم نفهم ، ولكنه انصرف قبل أن نتمكن من سؤاله . على أن البرقية ما لبثت أن جاءت ففهمنا كل شيء ! مبروك ، على كل حال »

فأيقنت أن أكاذيب إبريل كلها ستقذف علىّ في هذا اليوم السعيد . وقلت لها : « آه ، كذبة إبريل ... اشكرى عنى المهنئين والمهنئات . فإني الآن مشغول بالعروس ، أبهاجي ، وأناجيها بما يجن قلبي لها ! ألا تسمعين ؟ »

فألقت السماعة ، ولم تجب ! والمصيبة أن النساء أميل إلى تصديق كل ما يثير غيرتهن ، ولو كان كل شيء يدعو إلى نقيض ذلك ويغرى بالاطمئنان .

وخرجت ، فمررت بصاحب لى ، فقدم لى شوكولاته ، فاعتذرت فإني لا آكل شيئاً بين طعامين ، فألح ، فأصررت على التأبي ، فاقترح أن أنتقى بضع قطع أدسها في جيبي ، وآكلها حين أشاء فلم أر في هذا بأساً فأجبته إليه . وعدت إلى البيت ، وخلعت ثيابي لأستريح ، فسألتني امرأتي : « معك سجاير » ؟ !

قلت . « في جيبي ... خذى ما تريدين »

فدفعت يدها في جيبي وقالت ، وهي تخرجها وتتأمل ما عثرت عليه : « آه ... شوكولاتة العروس » ! !

قلت : « لا تكوني سخيفة ... هذه أعطانيها فلان » .

فألقت في فمها واحدة ، وهي تضحك ، وإذا بها تلفظها فجأة وتصيح وقد عبست جداً : « ما هذا القرف ؟ »

فسألتها : « قرف ؟ أي قرف يا شيخة ؟ مالك في هذا النهار ؟ »

قالت : « تضحك علىّ ، وتغريني بأكل شوكولاته حشوها ثوم وفلفل ، وتزعم أن فلاناً أعطاكها ؟ ! أي مزاح هذا ؟ هل ارتددت طفلاً ؟ ألا تجد أحداً غيرى تمازحه هذا المزاح البارد ؟ »

فقلت – وأنا أحدث نفسي – : « شوكولاته بثوم وفلفل ! يا امرأة ، هل سمعت بالمثل العامى : تكون في فمك فتقسم لغيرك ؟ أنا كنت المقصود بهذا المزاح البايخ ، ولكني نجوت ووقعت أنت ؛ وما يخالجني شك في أن هذا أبعث على سرور صاحبي الذي أهدى إلى هذه الشوكولاته ! ولكننا لن نخبره بشيء ، وسندعه بضعة أيام يتقلى ويوده لو عرف ماذا كان من أمرنا ... لا بأس ! سأجزيه سوءاً بسوء ! فانتظرى ! »

فظلت تصيح وتسأل عما عسى أن تصنع الآن ، فقد فسد طعم فمها ، وأكبر ظنها أن رائحة الثوم ستظل بأنفاسها ، فاقترحت عليها أن تشرب قليلاً من الكولونيا !

فهزت رأسها وقالت : « تريد أن تقتلني لتخلص لك عروسك الجديدة ، ويصفو لك الجو معها ! »

فسكت ووضعت إصبعي في الشق ، بل وضعت أصابعي العشر كلها في الشقوق فما من سبيل إلى إقناع المرأة بسخافة الغيرة

وأحسب أن الكذب يطيب في أحيان كثيرة ، بل أحسبه لازماً للانسان . وعسى أن يكون الصدق متعبة شديدة ، ولعل التزامه في كل حال مما لا يطاق

ولكن من الكذب ما هو برىء ، وما هو سوء يحسن اتقاؤه وأنا مستعد أن أضحك ، وأن أستظرف نكات الإخوان وأستملح

(البقية على صفحة ٧٠١)

كتاب السياسة
للوزير نظام الملك
للدكتور عبد الوهاب عزام

نظام الملك أبو على الحسن بن اسحاق : وزير السلاجقة من أعظم الوزراء الذين عرفهم تاريخ الإسلام . وزر للسلطان محمد ألب أرسلان ، ثم لابنه ملكشاه ثلاثين سنة (٤٥٥ — ٤٨٥) هـ .

كان أبوه أحد دهاقين طوس ، وذهبت بماله الحادثات فولد نظام الملك فى بيت فقير سنة ٤٠٨ . وماتت أمه وهو رضيع . ونشأ نجيباً زكياً فتعلم العربية والفقه وسمع الحديث . وتقلبت به صروف الزمان فى أرجاء الأرض ، حتى استقر فى بلخ عند أحد عمّال داود والد السلطان ألب أرسلان . ثم تولى أعمال ألب أرسلان ووزر له قبل السلطنة . فلما خلف ألب أرسلان عمّه طغرل بك دبّر نظام الملك أمور الدولة ، وظهرت كفايته ، وشاع ذكره ؛ فاستقل بسياسة الملك طوال عهد ألب أرسلان وعهد ابنه ملكشاه. وتولى أبناؤه ، وكانوا اثنى عشر ، المناصب الرفيعة فى الدولة فتمكن سلطانهم ، وعظم جاههم ، وانقادت لهم الأمور حتى فاقوا البرامكة فى أيامهم .

يقول ابن الأثير :

« كان عالماً جواداً عادلاً حليماً كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت . كان مجلسه عامراً بالقراء والفقهاء ، وأئمة المسلمين ، وأهل الخير والصلاح . أمر ببناء المدارس فى سائر الأمصار والبلاد ، وأجرى لها الجرايات العظيمة ، وأملى الحديث بالبلاد ببغداد وغيرها . وكان يقول : إنى لست من أهل هذا الشان ، ولكنى أحب أن أجعل نفسى على قطا نقَلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم »

وما زالت الأمور فى تصريفه ، والأحوال مواتية له ، إلى أن قتل سنة ٤٨٥ .

وذلك أنه كان مسافراً مع السلطان ملكشاه من أصفهان إلى بغداد ، فنزلا على مقربة من نهاوند . قال ابن الأثير :

« فلما كان بهذا المكان بعد أن فرغ من إفطاره ، وخرج فى محفة إلى خيمة حرمه أتاه صبى ديلمى فى صورة مستميح أو مستغيث ، فضربه بسكين كانت معه ، فقضى عليه وهرب ، فعثر بطنب خيمة فأدركوه فقتلوه » .

وقد شاع بين الناس أن الملاحدة دبروا لقتله إذ كان يبغضهم وكتب فى كتابه سياستنامه فصلاً فى بيان مفاسدهم . ويقال إن ملكشاه هو الذى أوحى بقتله وكان قد نقم منه ومن أولاده تمكنهم فى عظم المناصب ، و جاههم ، وأوغرت صدره عليهم امرأته تُركان خاتون ، وكانت تسعى ليخلف ابنها الطفل محمود أباه على الملك ، وكان نظام الملك يؤثر بركيا روق أخا محمود الأكبر . إذ يقال إن جمال الملك بن نظام الملك قتل مسخرة للسلطان كان يحاكى نظام الملك فى المجلس السلطانى ، فنقم عليه السلطان وأمر من دس له السم فى شربة فقاع

ويروى ابن الأثير أن السلطان أرسل أحد قواده شحنة إلى مرو وكان يتولى أمورها حينئذ عثمان بن جمال الملك ومفيد نظام الملك . فوقع نزاع بين الشحنة وعثمان فحبسه عثمان ثم أطلقه فذهب إلى السلطان شاكياً ؛ فأرسل السلطان إلى نظام الملك يسأله أأنت شريكى أو وزيرى ويذكر استيلاء أبنائه على المناصب وتجاوزهم الحد فلما بلغت الرسالة الوزير الكبير غضب وقال للرسول « قولوا للسلطان إن كنت ما علمت أنى شريكك فى الملك فاعلم ، فانك ما نلت هذا الأمر إلا بتدبيرى ورأيى . أما يذكر حين قتل أبوه فقمت بتدبير أمره وقمعت الخوارج عليه ... فلما قدت الأمور إليه وجمعت الكلمة عليه وفتحت له الأمصار القريبة والبعيدة ، وأطاعه القاصى والدانى ، أقبل يتجنى لى الذنوب ويسمع فىّ السعايات ! قولوا له عنى إن ثبات تلك القلنسوة معذوق بهذه الدواة[1] وأن اتفاقهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة، ومتى أطبقت هذه زالت تلك[2] . »

ومن عجائب الاتفاق أن السلطان مات بعد شهر من قتل الوزير واضطربت الدولة اضطراباً شديداً

ومهما يقل من أسباب النفور التى وقعت بين السلطان والوزير فأنا أبعد أن يدبر الملك لقتل وزيره الشيخ الذى كان يثق به ويعتمد عليه ويستصحبه فى حضره وسفره .

(١) يعنى أن تاج السلطان مدعوم بدواة الوزير فاذا زالت وزارته زالت السلطنة .

(٢) ابن الأثير حوادث سنة ٤٨٥

كتب نظام الملك كتاب السياسة (سياستنامه) قبل موته بسنة واحدة ، وضمنه علمه وتجاربه وآراءه فى سياسة الملك وترتيب الدولة ، وإنصاف الرعية ، وقسمه إلى خمسين فصلاً .

وللكتاب مقدمة كتبها ناسخ الخزانة السلطانية يبين فيها سبب تأليف الكتاب فيما يأتى :

« أمر السلطان السعيد أبو الفتح ملكشاه ابن محمد أمين أمير المؤمنين أنار الله برهانه ، سنة أربع وثمانين وأربعمائة بعض الكبراء والشيوخ والعلماء أن تفكَّروا فى أحوال المملكة وانظروا ماذا من السيئات فى عهدنا ، وماذا خفى علينا ، وماذا فعله السلاطين السابقون ولم نفعله ، وأعلمونا به . وكذلك اكتبوا ما تعرفون من سنن الملوك السالفين مما يتعلق بدولة السلاجقة وملكهم ، وأعرضوه علينا لنتأمّله ونأمر بعدُ أن يسير كل عمل دينى ودنيوى على قاعدته ، ويوضع كل شىء فى موضعه ، وننهى عما لا يُستحسن . فإن الله وهبنا الدنيا وأتم نعمته علينا وقهر أعداءنا فلا ينبغى أن يكون أمر فى مملكتنا ناقصاً أو يذهب عمل على غير وجهه أو يخفى علينا شىء .

« أمر بهذا نظام الملك ، وتاج الملك ، ومجد الملك وطائفة أمثالهم ، فكتب كلٌّ ما تيسر له فى هذا الشأن وعرضه على السلطان فلم يعجبه إلا ما كتب نظام الملك فقال : كُتبت هذه الفصول كما أردت فليس فى نفسى عليها مزيد . وقد اتخذت هذا الكتاب إمامى وسأعمل به . »

ويقول نظام الملك فى خاتمة الكتاب : « هذا كتاب السياسة . أمر سلطان العالم خادمه أن يكتب فى هذا الموضوع فامتثل أمره . كتب تسعة وثلاثين فصلاً على عجل ورفعها إلى السدة العالية فلقيت قبولاً . وكانت مختصرة فزدت عليها ، وأضفت إلى كل فصل ما يناسبه ، وبينتها بلغة واضحة . وقد سلمته إلى ناسخ الخزانة السلطانية محمد المغربى سنة أربع وثمانين وأربعمائة ونحن على عزيمة السفر إلى بغداد ، وأمرته أن ينسخه بخط جميل ، فإذا لم يتح لى الرجوع من هذه السفرة قدمه إلى السلطان . »

وسأتكلم على الكتاب وأترجم فصوله فى المقالات الآتية إن شاء الله .

عبد الوهاب عزام

الجامعيون يحتربون

للدكتور زكى مبارك

كان الأسبوع الماضى من الأسابيع الدامية فى حياة الجامعة المصرية ، وكان رجعة إلى معارك الصعايدة والبحاروة فى الأزهر الشريف ، فما هى الصلات بين القديم والجديد من هذه المناوشات التى تقع فى المعاهد العلمية ؟

إن النضال بين الصعايدة والبحاروة من الأزهريين كان رجعة لأحقاد عرفتها مصر منذ عهد الفراعين بين سكان الشمال وسكان الجنوب ، وكان لهذا النضال مواسم يذكرها من شهد الحياة الأزهرية قبل أن تخضع للنظام الحديث

فما هو سبب النضال بين كلية الآداب وسائر الكليات ؟

وما الذى قضى بأن يكون للجامعيين تاريخ فى العداوة والبغضاء ؟

لقد كانت كلية الآداب منذ نشأتها محفوفة بالرعاية والعطف من جميع المعاهد العالية ، فما الذى جد من الشؤون حتى تصبح هذه الكلية المحبوبة هدفاً للعداوات ، وحتى تشن عليها الغارة بلا ترفق ولا استبقاء ؟

ما الذى جد فى دنيا القلوب حتى تثور الحرب الدموية بين طلبة الآداب وطلبة الحقوق ؟

وكيف جاز أن يصبح الحرم الجامعى مجروح المهابة والجلال وفيه تمثال الشهداء فى سبيل الوطنية لا فى سبيل المنافع الشخصية ؟

كيف جاز أن يحترب الرفاق فى بقعة مسوَّرة بالأزهار والرياحين فى مطلع الربيع ؟

وكيف نسى أولئك الشبان أن من الجريمة أن يدنسوا الحرم الجامعى بالأحقاد الشخصية ، وهو بفضل العلم لا يقل قدسية عن المحاريب ؟

كيف نسى أولئك الشبان نعمة الله عليهم وهم يغدون ويروحون فى رياض تذكّر بأرواح الفراديس ؟

إن الجامعة لها موقع قليل الأمثال فى الشرق ، وهى تنتظر من أبنائها أن يكونوا جذوة روحية تضئ أقطار الشرق ، فبأى

وجه تلق الناس إذا صح لأبنائها أن يحتربوا ويقتتلوا بأسلحة ينكرها العلماء ؟

إن أولئك الشبان لا يعرفون أن هناك مسامع تستريح لأن تسمع فيهم قالة السوء ، ولا يدركون أن هـذا النوع من المناوشات يغض من هيبتهم العلميـة ، ولا يذكرون أن سيرتهم قد تصبح قدوة لطلبة المعاهد العالية في الشرق

ولـكن ما هى أسـباب المعركة بين كلية الآداب وكلية الحقوق ؟

السبب فى جملته يرجع إلى كتابين يدرسان فى كلية الآداب وفيهما فقرات تمس العقيدة الإسلامية

ولـكن فات خصوم كلية الآداب أن من المستحيل أن يقع ذلك عن عمـد : فعميد الـكلية يعرف أن فى مصر تيارات دينية وسياسـية ؛ وليس من مصلحته أن يتعرض لمكاره من جانب رجال السياسة أو رجال الدين . ومتى صح أن سوء النية غير موجود فمن التعسف أن يقال إن كلية الآداب تحارب العقيدة الاسلامية

أتريدون الحق أيها الجامعيون؟

لقـد ضيعتم على أنفسكم فرصة عقلية لا تتاح فى كل يوم ، وهـذه الفرصة بدت طلائعها بحديث عميـد كلية الآداب وحديث شيخ الأزهر وشيخ كلية أصول الدين

وكان يجب اغتنام هـذه الفرصة : كان يجب أن نرى المصاولات العقلية بين الأزهر والجامعة المصرية . كان يجب على الأقل أن يكون الحـكم فى هذه القضية إلى مناظرة علنية تقوم فى قاعة الحفلات تحت رياسة مدير الجامعة المصرية

ولـكنكم أسرعتم ففصلتم فى القضية بالأيدى لا بالعقول .

ثقوا أيها الجامعيون بأن الحركة الفكرية فى حاجة إلى وقود ، وهذه المحرجات التى تثور من حين إلى حين هى أعظم باعث ليقظة العقول ، وأعداء هذه البدوات الفكرية هم من جيش الموت ، لو تعلمون .

أقول هذا وأنا أعرف أن المشكلة فُضَّتْ ولم يبقَ إلا حكم التاريخ .

ولـكن يؤذينى أن يكون للجامعة فى حياة العقل تاريخ يشبه تاريخ العنف فى أيام الظلمات .

من برجنا العاجي

إنى من الذين يعتقدون أن فى مصر اليوم نهضة ملحوظة فى الأدب والفن ، وأن الأدباء والقراء يزدادون يوماً بعد يوم . على أن الذى يسترعى الالتفات ويدعو إلى القلق هو أن نتاج الذهن لم يبلغ بعد فى قيمته المادية وأثره الاجتماعى المستوى المطلوب . لماذا ؟ لأن هنالك عنصراً آخر فى هذا الشأن ما زال مفقوداً . إن قوة الأدب والفن فى أمة لا ترتكز فقط على طائفتى الأدباء والقراء . هنالك طائفة ثالثة عليها يقع قسط كبير من عبء العمل ولها ينسب بعض الفضل فى إذاعة نتاج الذهن وإيصاله إلى متناول كل يد ، وإحداث الضجيج حوله ، والإعلان عن خطره . أولئك هم الوسطاء والتجار والناشرون . ففى فرنسا مثلاً ما يكاد يظهر كتاب جديد فى باريس اليوم حتى تجده فى صباح الغد معروضاً فى أصغر قرية من قرى الريف الفرنسى . ووسائلهم فى ذلك بسيطة أوجه إليها نظر تجار كتبنا الكسالى المتواكلين . إنهم يعلمون أن الكتاب لا يطلب عادة إلا فى المحطة عند السفر ، إذ هو خير أنيس فى وحدة القطار . فتراهم قد جعلوا فى كل محطة صغيرة أو كبيرة عربة يد صغيرة كتلك التى توضع عليها عندنا « البسطة » والفطائر والمأكولات . يعرضون عليها كل مستحدث من الكتب ، ويعهدون بها إلى صبى يمر بها على الرصيف أمام كل قطار مار . هنا فى مصر توجد فكرة عرض الكتب والمجلات فى المحطات ، ولكن الذى يؤسف له حقاً هو أن مصلحة السكة الحديدية المصرية قد منحت هذا الامتياز لرجل رومى لا يعرض غير الكتب والصحف الافرنجية ؛ لأن هذه المصلحة لا تنظر إلا إلى راحة المسافر الأجنبى والسائح الافرنجى ؛ أما نشر ثقافتنا فى أنحاء بلادنا على يدها فهو مشروع لم تفكر بعد فيه .

لذلك سيظل الأدب والفكر وكل ما يتعلق بالتثقيف الذهنى والروحى فى بلدنا محصورا فى محيط محدود .

توفيق الحكيم

أبو تمام شيخ البيان

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

والسائر من شعر أبى تمام لا يقل فى الصفات التى تؤهله لأن يسير عن شعر المتنبى السائر . وترى كثيراً من هذا الشعر السائر فى جميع أبواب شعر أبى تمام من مدح أو رثاء أو وصف أو هجاء، وله أبيات كثيرة تدل على بصيرة وفهم وذكاء، وأسباب السيرورة هى التوفيق فى الصناعة والإيجاز والبيان والوضوح وسهولة اللفظ وقوة السيل الشعرى المنبعث من النفس وسلامة الفطرة والذوق . ولأبى تمام أبيات صارت ملكا مشاعاً مثل قوله :

وإذا أراد الله نشر فضيلة   طويت أتاح لها لسان حسود

ومثل قوله :

فلا تحسبا هنداً لها الغدر وحدها   سجية نفس ، كل غانية هند

وقوله :

ومن لم يُسَلِّم للنوائب أصبحت   خلائقه طرا عليه نوائبا

وقوله :

وطول مقام المرء فى الحى مخلق   لديباجتيه فاغترب تتجدد

وقوله :

وقد يستر الإنسان باللفظ خُلقه   فيظهر عنه الطرف ما كان يستر

وفى رواية فعله (أى سبب فعله) بدل خلقه ؛ وقوله أيضاً :

يعيش المرء ما استحيا بخير   ويبقى العُود ما بقى اللحاء

وقوله :

وإنى رأيت الوشم فى خُلُق الفتى   هو الوشم لا ما كان فى الشعر والجلد

وقوله فى تعزية الرثاء من قصيدة جليلة مشهورة :

أتصبر للبلوى عزاء وحِسْبة   فتؤجر أم تسلو سلوّ البهائم

وقوله :

لذلك قيل بعض المنع أدنى   إلى مجد ، وبعض الجود عار

وقوله :

ليس الغبىّ بسيد فى قومه   لكنّ سيد قومه المتغابى

وقوله :

وإذا امرؤ أسدى إليك صنيعة   من جاهه فكأنها من ماله

وقوله وفيه روايتان فى اللفظ :

ومن الحزامة لو تكون حزامة   ألا تؤخر من به تتقدم

وقوله :

إن شئت أن يَسْوَدّ ظنك كله   فأجِلْه فى هذا السواد الأعظم

يعنى جمهور الناس . وقوله :

فصرت أذلّ من معنى دقيق   به فقر إلى فهم جليل

وقوله :

قد يُنْعِم الله بالبلوى وإن عظمت   ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

وقوله :

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها   تنال إلا على جسر من التعب

وقوله :

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا   من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وقوله :

سكن الكيد فيهم إنّ من أعـ   ظم إرب ألا تُسَمّى أريبا

وقوله :

فقد تألف العين الدجا وهو قيدها   ويُرْجى شفاء السم والسم قاتل

وقوله :

أنكرتهم نفسى وما ذلك الإنـ   كار إلا من شدة العرفان

(تنبيه) : فى مقالة (مهيار) صحة اسم الشاعر الفارسى الفردوسى لا الفيروزى

إن كلية الآداب لها مهمة أعظم مما تظنون .

لا يراد من كلية الآداب أن تقف عند المحكيات فى الشئون الأدبية والفلسفية ، وإنما يراد من كلية الآداب أن توقظ غافيات العقول ، وأن تخلق الفرص لوثبات الأخيلة والأحاسيس. فمن كان يظن أنه انتصر على كلية الآداب حين رجمها بالحجارة والطوب فلينم قرير العين .

أما كلية الآداب فمن حقها أن تعتز وتستطيل بأن يكون لها فى حياة العقل تاريخ .

« مصر الجديدة »   زكى مبارك

وإساءات ذى الإساءة يذ كرْ ... نك يوماً إحسان ذى الإحسان

وقوله :

وقديماً ما استُنبطت طاعة الخا ... لق إلا من طاعة المخلوق

وهذا البيت الأخير فيه إلمام بمذهب الملاحدة الذين يقولون إن الاعتقاد بالخالق فكرة إنسانية ولها نشأة بشرية فى قديم الزمن بسبب تأليه رب الأسرة ورئيس القبيلة فى العصور التى قبل التاريخ. على أن البيت يصح تأويله بما لا يخالف الدين. وقد طعنوا فى عقيدة أبى تمام بسبب تركه للصلاة والصوم وقوله فى الشاعر والفروض الدينية كلاما ، كما جاء فى كتاب مروج الذهب للمسعودى وفى غيره من الكتب . وقد طعنوا أيضاً فى نسبته إلى طى، وبعضهم صحح نسبته إلى طى وقال إنه نشأ فى فرع مسيحى منها ثم تظاهر باعتناق الإسلام ؛ وقد مدح الإسلام فى مدحه للخلفاء والوجهاء ووصف المسيحيين بالشرك والكفر وعبادة الأصنام كما قال فى مدحه المعتصم ووصف فتحه مدينة (عمورية) وإذا أردنا أن نحصى خلاصة الخلاصة من شعر أبى تمام لم نستطع أن نستغنى عن المدح ، وإن استطعنا الاستغناء عن المدح عند إحصاء خلاصة الخلاصة من شاعر كالشريف الرضى فإن شعر المدح فى صنعة أبى تمام يحبب إلى القارئ قراءة المدح حتى ولو كان ممن لا يميل إليه . انظر إلى قوله :

نسب كأن عليه من شمس الضحى ... نوراً ومن فلق الصباح عموداً

أو قوله :

خدم العلى فخدمنه وهى التى ... لا تخدم الأقوام ما لم تخدم

أو قوله :

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه ... لجاد بها فليتق الله سائله(1)

أو قوله :

فلو صورت نفسك لم تزدها ... على ما فيك من كرم الطباع

أو قوله :

غرّبته العلى على كثرة الأهـ ... ل فأضحى فى الأقربين جنيبا

وله قصائد كثيرة فخمة حلوة فى المدح مثل قصيدته فى محمد ابن عبد الملك الزيات التى يقول فى مطلعها :

لهان علينا أن نقول وتفعلا ... ونذكر بعض الفضل منك فتفضلا

أو الأبيات التى يقول فيها :

ليس الحجاب بمُقصٍ عنك لى أملا ... إن السماء ترجّى حين تحتجب

وإجادته فى المدح إجادة يطول حصرها ، وهى ليست فى مدح الأحياء فحسب بل هى أيضاً فى مدح الموتى فى الرثاء مثل قوله :

هيهات أن يأتى الزمان بمثله ... إن الزمان بمثله لبخيل

أو قوله فى رثاء بنى حميد :

وانفس تسعُ الأرض الفضاء فلا ... يرضون أو يجشموها فوق ما تسعُ

يود أعداؤهم لو أنهم قُتلوا ... وأنهم صنعوا بعض الذى صنعوا

عهدى بهم تستنير الأرض إن نزلوا ... بها وتجتمع الدنيا إذا اجتمعوا

أو قوله من رثاء ابنى عبد الله بن طاهر : « نجمان شاء الله ألا يطلعا » إلى آخر القصيدة وهى من مأثور قوله وبها بيت يتمثل به كثيراً وهو قوله :

وإذا رأيت من الهلال نموه ... أيقنت أن سيكون بدراً كاملا

وقوله أيضاً فى مدح الرثاء :

فالماء ليس عجيباً أنّ أعذبه ... يفنى ويمتد عمر الآجن الأسن

وأكثر رثائه على هذا النمط : رثاء صنعة فخمة رائعة لا رثاء حرقة ولوعة ، ولا رثاء وجدان ؛ ومن أجلّ رثاء الصنعة قصيدته المشهورة التى يقول فى مطلعها :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ... فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

ولا ينقص من قدرها أنها من رثاء الصنعة فإن الشعر كالفاكهة أنواع ولكل نوع طعم ولذة. وله مع ذلك قصائد من شعر رثاء العاطفة والوجدان مثل رثائه لأخيه الذى أوله :

إنى أظن البلى لو كان يفهمه ... صد البلى عن بقايا وجهه الحسن

والقصيدة التى يقول فيها : « بأرّان لى خل مقيم وصاحب » ولكنه أحياناً تفيض العاطفة من رثائه كما قال فى رثاء جارية له :

(١) هذا البيت ينسب أيضا إلى مسلم بن الوليد

يقولون لا يبكي الفتى لخريدة … إذا ما أراد اعتاض عشراً مكانها
وهل يستعيض المرء عن عشر كفه … ولو صاغ من حر اللجين بنانها

فالتعليل يدل على الذكاء، ولكن ليس هذا رثاء العاطفة؛ وكان ينبغي أن تكون حجته منزلة الجارية من نفسه لا أن يضعها بمنزلة عشر الكف. ومثل هذا رثاؤه محمد بن حميد إذ يقول إنه رآه في الحلم فسأله: ألم تمت؟ قال: لا… كيف يموت من كان كريماً مثلي كرمه خالد. وكان ينبغي أن يجعل المرثي أرفع من أن يقول هذا القول الذي كان يستطيع الشاعر نفسه أن يقوله فيه بدل أن يضع المرثي موضع المفاخر بكرمه وإنه لو كان حياً لكان حرياً به أن يرى من الكرم ألا يفتخر بالكرم والبيت هو:

ألم تمت يا شقيق الجود من زمن … فقال لي لم يمت من لم يمت كرمه

ومن رثاء العاطفة قوله في رثاء ابنه وكان وحيداً بدليل قوله (بني يا أوحد البنينا) وهذه القصيدة هي التي مطلعها: (قد كان ما خفت أن يكونا) ولكنها ليست شيئاً إذا وضعت بجانب قصيدة ابن الرومي الدالية في رثاء ابنه وهي التي مطلعها: (بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي). وإذا قارنا بين غزل أبي تمام وبين أقواله في المودة والإخوان وجدنا شعره في الإخوانيات أكثر عاطفة ووجداناً وأعلى مرتبة في الشعر مثل قوله:

من لي بإنسان إذا أغضبته … وجهلت كان الحلم رد جوابه
وإذا طربت إلى المدام شربت من … أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغي للحديث بقلبه … وبسمعه ولعله أدرى به

أو قوله:

عصابة جاورت آدابهم أدبي … فهم وإن فرقوا في الأرض جيراني
أرواحنا من مكان واحد وغدت … أبداننا بشآم أو خراسان
ورب نائي المغاني روحه أبداً … لصيق روحي ودان ليس بالداني

أو قوله:

جليد على ريب الخطوب وعتبها … وليس على عتب الأخلاء بالجلد

أو قوله:

وقلت أخ قالوا أخ من قرابة … فقلت لهم إن الشكول أقارب
نسيبي في عزمي ورأيي ومذهبي … وإن باعدتنا في الأصول المناسب

أو قوله:

خليلي ما ازددت طرفي ببهجة … ولا انبسطت مني إلى لذة يد
ولا استحدثت نفسي خليلاً مجدداً … فيذهلني عنه الخليل المجدد

أو قصيدته في علي بن الجهم التي يقول فيها إن ودهما (عذب تحدر من غمام واحد) أو قوله:

وتكشف الإخوان إن كشفتهم … ينسيك طول تصرف الأيام

أما غزله فكثير منه من قبيل التغزل بالغلمان وأكثره غزل حواس وليس به عاطفة عميقة أو وجدان. وأكثره مقطوعات صغيرة في أغراض أكثرها بنت ساعتها ولعلها من عفو القريحة. هكذا أكثر غزله ولو أن به ذكر الدموع التي تحولت إلى دماء (أفنى صبري واجمل الدمع دما)، وذكر آلام الحب وحرقاته ولكنه ذكر لا يدل على شعور عميق كما يدل غزل المذريين، ولا على وجدان كوجدان العباس بن الأحنف أو كوجدان الشريف الرضي. وله في أول قصائد المدح بعض الغزل الرقيق، وهو مولع بذكر محاسن أعضاء الجسم كالعيون والخدود… الخ. أنظر قوله:

صب الشباب عليها وهو مقتبل … ماء من الحسن ما في صفوه كدر
لولا العيون وتفاح الخدود إذاً … ما كان يحسد أعمى من له بصر

وكثير من غزله يشبه غزل أبي نواس، ولعل هذا هو سبب ورود قصائد في الغزل في ديوانه وفي ديوان أبي نواس مثل التي أولها (قال الوشاة بدا في الخد الخ) والتي أولها (أفنيت فيك معاني الشكوى) والتي أولها (وفاتن الألحاظ والخد). ومما هو شبيه بالغزل في قصائد المديح مما يستحسن الأبيات التي يقول فيها:

أدار البؤس حسنك التصابي … إلي فصرت جنات النعيم

والتي يقول فيها:

يا موسم اللذات غالتك النوى … بعدي فربعك للصبابة موسم

والتي يقول فيها :

أصبحت روضة الشباب هشيما ... وغدت ريحه البليـل سموما

والتي يقول فيها :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحـلام

وله في الغزل والوصف :

باشر المـاء وهو في رقة الصنـــعة كالماء غير أنْ ليس يجرى

خدش الماء جلدَهُ الرطب حتى ... خلتـــه لابساً غلالة خمر

أما قوله في المغنية الفارسية فمن عذب القول وهي قصيدة مطربة وهي التي يقول فيها :

ولم أفهم معانيها ولكن ... وَرَتْ كبدي فلم أجهل شجاها

وفي باب الوصف من شعره أشياء بلغت منزلة عالية من الجودة تجعلنا نأسف لقلتها ونود منها المزيد . ومن هذه القصائد وصفه لفتح عمورية ، ووصف السحابة في أرجوزتها المشهورة ، ووصف القلم في قصيدة يقول فيها : (لك القلم الأعلى الذي بشباته) وهو وصف مشهور أيضاً وهو من قصيدة مدح كوصف فتح عمورية . ومن وصفه أيضاً أرجوزة (إن الربيع أثر الزمان) ، ومنها أخذ البحتري قوله : (وجاء الربيع الطلق يختال ضاحكا[1]) . وأحسن قصائده في وصف الطبيعة قصيدته التي يقول في أولها : (رقت حواشي الدهر فهي تَمَرْمَرُ) وفيها يقول البيت المشهور :

تريا نهاراً مشمساً قد شابَهُ ... نَوْرُ الرُّبَى فكأنما هو مقمر

والنَّوْرُ الذي يحدث هذا الأثر هو النور الذي له لون يغض من اصفرار أشعة الشمس كأن يكون لونه أبيض ، ولا يحس القارئُ مقدار صدق هذا الوصف إلا عند المشاهدة . وله في وصف الخمر قصيدته التي مطلعها : (قَدْكَ اتَّئِبْ أربيتَ في الغلواء) وفيها يقول :

صعبت وراض المزج سيءَ خلقها ... فتعلمت من حسن خلق المـاء

وضعيفة فإذا أصابت فرصة ... قتلت ، كذلك قدرة الضعفاء

وكأن بهجتها وبهجة كأسها ... نارٌ ونورٌ قُيِّدا بوعاء

أو درة بيضاء بِكْرٌ أطبقت ... حمـلاً على ياقوتة حمراء

يخفى الزجاجة لونها فكأنها ... في الكف قائمة بغير إناء

ولها نسيم كالرياض تنفست ... في أوجه الأرواح بالأنداء

وقد أسقطت بعض الأبيات للاقتصار ، والبيتان الأخيران ينسبان إلى البحتري أيضاً في قصيدة له . ولأبي تمام إجادة في الهجاء وله فيه قصائد سائرة مثل قوله :

كم نعمة لله كانت عنده ... فكأنها في غربة وإسار

كُسيت سبائب لؤمه فتضاءلت ... كتضاؤل الحسناء في الأطمار

وقوله :

مساوٍ لو قُسِمْنَ على الغواني ... لما أُمْهِرْنَ إلاَّ بالطلاق

فخلاصة الخلاصة من شعره لابد أن تشمل شيئاً من كل باب وهذا يدل على علو منزلته ومقدرته .

عبد الرحمن شكري

(١) في مقال عن البحتري سيشار إلى صلته الأدبية بأبي تمام . وقد أطال الآمدي في المقارنة بينهما في كتاب (الموازنة)

الأم فنانة عظيمة

للآنسة الفاضلة « الزهرة »

تقولين إن حياتك الزوجية مقرونة بالسعادة ، إلا أنك كثيراً ما تعقّبين على ذلك بقولك إن الهموم والمشاغل تعمل على إقصاء أسباب هذه السعادة حيناً ، وتفلح فى القضاء عليها حيناً آخر ، وإن جلبة الأطفال وضوضاء ثرثرتهم وهذرهم وطياشتهم الصبيانية تجهد هذه الأعصاب التى أرهقتها من قبل واجبات واهتمامات عديدة تبهظ الذرع ، وتعيي الطوق ، وتزحم سوانح الفراغ النادرة، وتجتاح نطاق الوقت الضيق . وكأنك تنسين أيتها الأم الفنية ، أن رجال الفنون الكبرى ، وهى الرسم والنحت وهندسة البناء والموسيقى والشعر ، كذلك كانوا يشتغلون ، وفى مثل هذه الحالات كانوا يجدُّون ويعملون ، بل كأنك تجهلين أنك تفوقين هؤلاء الفنانين جميعاً ، لأن أعمالهم الفنية مجالها العالم المادىّ ، أما عملك أنت فمجاله رحاب الحياة البشرية بأسرها

ولعمرى كيف لا يعرف العالم أن التحيب على الأمومة والتفطر لها ، يحقران شأنها ويقوضان سرادق مجدها ! وهل كان بركليس يطلب من الملأ الرحمة والرثاء لأنه بفضل جهاده ومصارعته الصعاب جعل لأثينا السيادة العليا فى البر والبحر ، وصيّرها مجد العالم ؟ وهل كان ميكال انجلو يصيح طالباً الغياث والنجدة مما عاناه مدة سنتين قضاهما مضطجعاً فوق ألواح خشبية مشدودة إلى السقف ليتمكن من رسم قبة معبد « السيستين » فى الفاتيكان ؟ وهل كان رفائيل يسأل الناس الرأفة ، ويجعل من ينظرون إليه يستشعرون مسًّا من الشفقة عليه، والتفجع لكفاحه الطويل المضنى الذى جاءه أخيراً بصورة السيدة مريم العذراء وابنها الطفل ؟ !

إن كتب السِّيَر لا تتوجع لجهاد أولئك الأقطاب ، ولا تتبعهم بإحساس جارّ من العطف الباكى المحزون ، والحنو الدامى المستحرق ، بل إنها تتبين فى صبرهم على المشاق عناصر رجولة نبيلة أبيّة أوغلت فى ميادين العزم والشجاعة وعلوّ الهمة ، وغذّت مواهبهم بقوة الإرادة ، والقدرة على تذليل الصعاب ، فزادتهم بذلك فضلاً على فضل ، وأضافت إلى ظفرهم فلاحاً وعزًّا

ولكن هل تمكن المقارنة بين الموادّ التى يستخدمها الفنان لتدوين تعبيراته الفنية ، ورسم كل ما يقع تحت حسه من ألوان وظلال وأوضاع وانفعالات ، وبين ما تتناوله الأم من المعنويات السامية الزاخرة بالممكنات التى تستطيع هى وحدها أن تستشفّها وتفسرها ، وتبحث فى ثناياها عن أحب الأشياء وأنقاها ، وتحضها على استغلال أشرف ما أودع فى القوى البشرية وتروضها على التحلى بأكرم الأخلاق الإنسانية ، والتمسك بخير ما فيها من سجايا الطهر ، التى تنيل الحياة عمقاً واتساعاً ، وتكسبها نبلاً ومجداً وكرامة وسعادة

أجل . إنى أراك فى أحايين ، توسعين لنفسك مجال التفجع ، حين تجمحين فى الإشارة إلى المتاعب التى تلقينها فى العناية بأسرتك الصغيرة ، والاهتمام بمطالبها التى تستنفد وسعك كله ، وتهدّك وتطيّر النوم من عينيك . ولست أنكر أن هذا الاهتمام يستنفد الجهد حقاً ، ولكن أليس محبباً إلى النفس ؟ وأى شىء يفيض على حياة الفرد جمالاً أعظم من جمال العمل الحيوى الذى يقتضى الاهتمام المستفيض ويستغرق الجهد المستطيل اللهوف على مساكه وقوامه ؟ وعملك من أعظم الأعمال فى الحياة ، وما الذى يجعل للحياة قيمتها ؟ أليس هو شعور الفرد فى كل صباح بأن مهمة خطيرة موكولة إليه ، وأمراً جليلاً موقوف عليه دون سواه ؟ وهذا الشعور يا سيدتى هو الذى ينبض بالاهتمام — الاهتمام الخالى من الهاجس والبلبال والتأرق، والمفعم بإدراك أهمية الواجب والمسؤولية . وإنها لحياة حقيرة تلك الحياة التى لا نعرف فيها قداسة الواجب والجد لتحقيق غاية مجيدة ! بل إنه لوجود وضيع خسيس ، ذلك الوجود الذى يكون فيه الفرد منفعلاً بكل شىء فيه ، دون أن يكون لبعض شؤون الحياة الحق فاعلاً . أو ليس من دواعى الغبطة إذاً أن تعرفى قيمتك من هذا العالم الوسيع الرحيب ، ونصيبك من واجب الخدمة فيه ؟ بل أليس من دواعى الفخر أن توقنى من أن لك أنت فيه حياة أعلى من هذه وواجباً أجل وأكرم ، وقد ائتمنتك الروح الكلية على أدائه .. فهل تبغين سواه ؟ أتريدين أن تقومى بإلقاء الخطب والمحاضرات ؟ أو أن تشغلى وظيفة فى بعض المصالح والمؤسسات ؟ أو تكونى رسامة مجيدة تحبو الناس بقبسات باهرة من مخيلتها المبدعة ، وريشتها المبتكرة ، وروحها المقتبسة ، ونفسها الحساسة ؟ ومع ذلك فهل تخلو هذه الصناعات والوظائف مما يفرض العناية ويستلزم الاهتمام ، لو راعيت الأمانة والدقة فى أدائها ؟ ولست أريد أن أنتقص من قدرها بما أذكره فى صددها الآن وكلها جليلة

نبيلة تليق بأن تستغرق حياة مَنْ لم تندبهن السماء لذلك الواجب الأقدس، أو مَنْ أكملن سعى الأمومة المبرور، وأحسنَّ البلاء فى تعهد الأولاد بالعناية اللازمة، وهيأنَ من ريعان اقتبالهم، وعنفوان شبابهم خير عدة للمجتمع!

هذا ولا تنسى أن رجال الفن يتخذون أداة عملهم الفنى من الجماد، والجماد لا روح فيه، ولا يملك من الاستجابات غير ما يشعر الفنانون أنه صوت العواطف والأفكار التى تدوى فى نفوسهم. أما أنت فإن مادة تعبيراتك الفنية معنوية حية، تجيش فى خلاياها الكائنات الحية، ويترقرق فى أغوارها ماء الحياة الناشطة، وبقظة الفؤاد، ودقة الفهم، ولطافة الحسّ، وقوة العقل. وفى كل يوم ترين استفاضتها؛ فى كل يوم ترين الأغصان النامية التى تساعدينها على اتخاذ سمتها إلى النور والسماء، وتستجيب لهاتف رعايتك وتثقيفك، وفى كل يوم تتكرر مظاهر اتصالها بك، إذ تلتفّ تلك السواعد البضّة حول عنقك لتحدثك عن حبها الساذج النقى، وفى كل يوم تشنف أذنيك مراراً تلك النغمات الملائكية كلما نادتك قائلة: «ماما! ماما»! وفى كل يوم ينفخ إيمانُ تلك القلوب الغضة، وثقتهم بما أوتيت من حكمة وخبرة، روحَ الحياة فى قلبك.. إن الفنان يحكى الطبيعة، وينقل ما يقع تحت حسه من صورها، ويتخذ من مخلفات حياته الفنية صلة الحياة بما بعد وجوده الفانى فى عالم الزوال. أما أنت فتسلمين وديعة السماء السرمدية إلى الأرض، وتخلدين نبتة الحياة التى تنتقل ثمارها من جيل إلى جيل، وتتفتح أزهارها فى متلاحق الحقب، ويدخر حصيدها الذهبى إلى ما وراء الأبد والبعث ... وتقدمين للوجود على يديك إثباتاً أكيداً لذات أوسع وأكبر، وبقاء أشمل وأكمل، وتمنحين الإنسانيه فوزاً متكرراً، وذخراً يجدده بروز مواهبك فى الأمومة الرشيدة الحكيمة. وما جمال الفن، وما مجد الفنان إلا بعض فضل الأم على كل مبتكراتهما وروائعهما! فهل تشتكين بعدُ من العناية بالبيت؟ وهل تقولين إن الأطفال أيضاً يضايقون ويزعجون! و... و... الخ. وزوجك العطوف؟ إنه يحبوك بالنصح والتدبير والمشورة فى حيرتك وارتباكك، ويسرّى عنك آلامك، ويمحضك إعجابه، ويخصّك بحبه الذى تستمدين منه سنداً لضعفك.. وأمومتك نفسها توقظ فيه حنو الرجولة وتنبّه حنانها الشهم القوىّ... فهل تحرصين على هذه العطايا أن تذهب بلا طائل؟ أم هل تعدّينها من الالتزامات والضرائب المفروضة على الزوج؟ أو لا تعرفين أيتها الحليلة الفتية الرائعة فى بحبوحة الدعة أن هذه الدعة هى خير ما تستطيع أن تغدقه عليك عناية الزوج المحبّ؟ ألا تعرفين أيتها الأم الشابة المنعمة بالطمأنينة التى يبعثها فى نفسك شعورك بأنك توفرين أسباب الصحة والحياة لأولادك، وتظلليهم بستر جناحيك، وتجعليهم فى حرز حريز يصونهم من أحداث الزمن وسموم القدر التى تعصف بمن أذلهم اليتم، وأخنى عليهم الحرمان والفقر...

ألا خذى هذه العطايا البنوية الشاكرة والزوجية الواقية ولا تجحديها... لأنك بهذا الجحود تحطمين أشرف عاطفة، وتلغين أنقى رابطة قائمة على التفاهم والإخلاص، وإدراك الحياة الكاملة، والتوجه إلى ما فيها من حب وتعاون وشكران... فتقبليها من يد الزوج الأبرّ القوىّ، آية وفاء لحقوق تلك الشركة المقدسة التى ربطت بينكما، وتعاهدتما على أن تلتمسا بها لحياتيكما أمناً بل زينة تنسيك أنت متاعب الفروض البيتية والعناية بالأطفال وتحيلها لذة ونعيماً مقيماً...

هذه أمانىّ الراجية المؤملة أزجيها غير متجافية ولا متبجحة. وها أنذى أتطلع إلى ما توحيه إليك نفسك السمحة، وينتهى إليه جهدك الجبار، فإنها لعمر الحق برهانك الذى يباهى به جنسك هذا المجتمع بل الإنسانية قاطبة، فاحرصى على أن تكونى فلق الصبح المبين لمصرنا العظيمة. والسلام عليك ورحمة الله

الزهرة

أعلام الأدب

درامات إسخيلوس

للأستاذ دريني خشبة

(تتمة ما نشر فى العدد الماضي)

٤ ، ٥ ، ٦ — الأورستية

هذه هى الثلاثية الواحدة التى وصلتنا سليمة من إسخيلوس وقد أخذ كل مادتها من هومر ، وأجا ممنون هو بطل حلقتها الأولى وباسمه تدعى ... والمأساة تبدأ من ذلك اليوم المشئوم الذى ضحى فيه أجا ممنون بابنته إفجنيا حيث ذبحها لتتحرك الريح وتحمل الأسطول إلى طروادة كما مر بك فى هوميروس ... فلما علمت زوجته كليتمنسترا — أم الفتاة — بما وقع لابنتها من الغدر ، ولم تكن تعلم بهذا التدبير من قبل ، بل قيل لها إنها ذاهبة لعقد قرانها على أخيل بطل أبطال اليونان ، ثارت ثائرتها ، واعتراها حال من الهم والحزن أخرجها عن إنسانيتها فأبعدت عنها كل معالم الحياة ... حتى ابنها الأوحد أورست لقد نفته بعيداً عنها ، وعاشت وحدها فى قصر البلوبيد الرهيب ، واضطرمت فى قلبها نار الحقد على زوجها القاسى ... ثم وصلت أسبابها بأسباب إيجستوس أحد ذوى الثارات على بيت أجاممنون ، فوافق شن طبقة كما يقولون، وألفت التِّرات بين قلبيهما فشاعت عن علاقتهما الشائعات .. ولما وضعت حرب طروادة أوزارها وعاد أجاممنون مع تلك الفتاة النَّبيَّة ابنة [(١)] بريام ، دبرت له زوجته تلك القتلة المشئومة التى ذهبت بروحه وروح فتاته إلى هيدز

أما الحلقة الثانية الـ (خُوَاَفُرُوَا) أو حاملات الخمر المقدسة فتقع حوادثها بعد ذلك بسنين عدة كانت الملكة وعشيقها يحكمان آرجوس طوالها ... فلما شب أورست استأذن ملك فوسيز فى العودة فأذن له وصحبه صديقه بيليدز ... ووصل إلى مقابر آرجوس حيث وجد أخته إلكترا تصب الخمر على جدث أبيه لأن أمها رأت فى المنام أنها تلد ثعباناً ثم تأخذه فى حضنها ، فأرسلت بنتها لتصب الخمر قرباناً إلى روح أجاممنون ... ويعرب الشاب أخته فيعرفها بنفسه وتكون قد صلت للآلهة على ثرى أبيها أن ترسل إليها أخاها ، فتكون مفاجأة جميلة ، ثم يوصيها أورست بكتمان الأمر حتى ينتقم لأبيه ... ويدخل القصر فى هيئة تنكرية فلا تعرفه أمه ، ثم يأخذ فى سرد قصة فحواها أن أورست قد مات فتتظاهر الأم بالحزن ثم تدخل مخدعها ، ويدخل أورست وصديقه حجرة الأضياف ... وتذهب مرضعة لتدعو إيجستوس ليعلم ما قال الرسول عن وفاة أورست فما يكاد يصل إلى القصر حتى يسمع من الداخل وهو يصرخ ويجود بنفسه ... لقد قتله أورست !! ... وتهرع كليتمنسترا لترى ماذا حدث ، لكنها تعاجل بضربة شاطور (بلطة) فتتلفت فترى أورست عند جثة عشيقها ، وهى مع ذلك تنسى آلامها وتنحنى فتبكى فوق جثة إيجستوس ... ثم يأتى أروع مشاهد إسخيلوس الدرامية ... فالأم حينما تعرف أورست لا تبالى الدم المتدفق من جرحها ، بل تكشف عن ثدييها وتُعيِّر الابن بكفرانه هذا اللبن الذى غذاه صغيراً ، ثم تنذره بملاحقة ربات العذاب إياه حتى ينتقمن منه على جريمة قتل الأم وهى أشنع الجرائم فى الشرع اليونانى ، ويهتز أورست ، ثم تمروه نوبة من الجنون ، وتتراءى له ربات العذاب فيذعر ، ويفر من وجوههن ليحتمى بهيكل الإله أبولو فى دلفى .

وفى الحلقة الثالثة (يومنَّيدز) أو ربات العذاب ، يتعلق أورست بأستار هيكل أبولو ضارعاً إلى إله الشمس أن يحميه ، وتكون الكاهنة وسنانة فتستيقظ مفزّعة مروّعة ثم يظهر الآله أبولو نفسه فيطمئن أورست ويشمله بحمايته ويأمره أن ينطلق إلى أثينا حيث يعرض قضيته على ربَّتها مينرفا (باللا أثينا) فيصلى أورست وينطلق إلى حيث أمره أبولو وتبقى ربات العذاب فيدخل شبح كليتمنسترا وتأخذ فى تحريض الربات فيتغنين قليلاً ثم يطردهن أبولو . . . ويتغير المنظر فنكون فى أثينا فى هيكل مينرفا وقد تعلق أورست بأستار المذبح وقد أخذت تنوشه ربات العذاب فتبدو مينرفا وتذودهن عنه ، ثم تستمع إلى شكواه . ويكون فى المعبد جماعة من المحلفين وينهض الآله أبولو ليؤدى شهادته ويدلى برأيه فيقرر أن الإنسان ينتسب إلى أبيه لا إلى أمه ؛ ولذا فهو مرتبط بوالده قبل أن يرتبط بوالدته . . . وبعد أن تسمع مينرفا إلى آراء الآخرين تنهض هى فتعلن رأيها ثم تجلس ويأخذ المكلفون فى (فرز) الأصوات وتكون النتيجة متساوية بغير ترجيح فيحدث شىء من الهرج فى قاعة العدالة وتتبرم ربات

(١) إسمها كاسندرا

العذاب لتدخل أرباب أقل منهن مرتبة في أخص أمورهن، فتنهض مينرفا وتأخذ في تلطيف سورتهن بفصاحتها المعهودة وتهتف بهن « أن أسمى واجب الآلهة هو نشر السلام بين بني الإنسان ! » وتعدهن بإقامة مأوى عظيم لهن في هضبة إرس فيهدأن ويحتفي الجميع بذهابهن إلى مأواهن في حفل رهيب

هذه هي أرفع درامات إسخيلوس بل أرفع درامات الأدب اليوناني إذا استثنينا درامة بروميثيوث للشاعر نفسه ... وقد سخر فيها الشاعر بهذه الشريعة العجيبة التي تنافي العدالة المطلقة التي جعل لها الفوز والغلبة في النهاية ... وكان إسخيلوس ماهراً في تلك الدرامة إلى آخر حدود المهارة فقد استدرج اليونانيين حينما أراد إصلاح وجهة نظرهم إلى تلك الأغوال التي يدعونها ربات العذاب حتى جعلهم يؤمنون أنها ينبغي أن تكون لخير الإنسانية لا لذعرها، ولنشر السلام لا لتعميم الذعر والأذى. وهكذا استطاع إسخيلوس أن يبشر بدين جديد من دون أن يحدث ثورة ، وكان جل إيمانه بسيادة عليا تهيمن على الكون وتسير به إلى الكمال كما سنرى في بروميثيوث

٧ — **بروميثيوث :**

أخذ إسخيلوس موضوع ثلاثيته من أسطورة بروميثيوث الخالدة وتتلخص فيما يلي :

بعد أن فرغ إيروس (كيوبيد) من توشية الأرض وزخرفتها بالنبات ، عمّرها بالحيوان ، ثم دعا إليه الإلهين بروميثيوث وإبيمتوث ليخلقا فيها حيواناً راقياً تكون له السيطرة على سائر صنوف الحيوان ويسمياه (الإنسان) . فلما صنعاه سألا إيروس أن ينفخ فيه أنفاس الحب (روح الحياة) كما سألا مينرفا أن تنفخ فيه من روحها (روح الحكمة). فلما دبت الحياة في هذا المخلوق العجيب زُهي بروميثيوث وشاعت فيه الكبرياء واعتزم أن يهدي إلى الإنسان منحة جزيلة تفتح له أبواب المدنية وترقى به في مدارج الحضارة ... وكانت النار إلى ذلك الحين حقاً خالصاً للآلهة وكان لهم دون غيرهم (امتياز) استعمالها، فاعتزم بروميثيوث أن يسترق إلى الأولب ليحضر للإنسان جذوة من النار المقدسة فأحكم تدبيره وتغفل سيد الأولب (زيوس) وسرق الجذوة ثم آب إلى الأرض دون أن يشعر به أحد ... ومضى حين من الدهر ، وتلفت زيوس من عليا سمواته فشهد النار تتأجج في أطراف الأرض فهاج هائجه ، وأقسم ليعذبن السارق عذاباً شديداً . ويعرف أن السارق هو بروميثيوث فيأسره ثم يذهب به في أقل من لمح البصر إلى جبال القوقاز حيث يقيده ويربطه بسلاسل وأصفاد في قمة جبل هناك ويسلط عليه باشقاً من جوارح الطير فيظل ينهش كبده نهشاً شديداً . . . وهنا يبدأ إسخيلوس الحلقة الأولى من درامته .. فهذا بروميثيوث مُصفَّداً بالأغلال صابراً لأنكى ألوان العذاب ، ينهش الباشق كبده نهاراً ثم ترقأ جراحه ليلاً وتنمو الكبد، فإذا أصبح عاد الباشق إلى نهشه وتعذيبه وهكذا دواليك .. لكن بروميثيوث إله فهو لا يموت ، ثم هو لا يقهره هذا العذاب بل هو يصبر له في سبيل سعادة الإنسان الذي خلقه وحضّره وجلب له النار وعلمه الفنون ، والإنسان مع ذلك شاكر له ذاكر أياديه فهو يصلي له ويقنت ، والفتاة يو البائسة المعذبة التي سلطت عليها حيرا زوجة سيد الأولب هذا الوحش الفظيع آرجوس والذبابة المؤلمة تلدغها وتسومها من العذاب ألواناً ... ها هي ذي واقفة بجانب بروميثيوث تواسيه وتتوسط له عند التيتان ليستغفروا له سيد الأولب فلا يغفر له ، لأنه قوي مجنون ليس في قلبه شفقة ولا يعرف فؤاده العدالة... ويصبر بروميثيوث ثم يصبر ، ولا يرضى أن يخذل الإنسان لأن الإنسان يصلي له ولا يني عن عبادته ... وفي الحلقة الثانية يذهب هرقل بن سيد الأولب في إحدى مجازفاته فيشهد بروميثيوث مصفداً في قُنّة الجبل والطير تنهش كبده ، فينقض على الباشق الجارح ويقتله ، ويرد إلى بروميثيوث حريته . فينطلق هذا الإله الطيب ويلقاه الناس مسبحين بحمده فرحين مستبشرين . . . وفي الحلقة الثالثة (بروميثيوث حامل النار) يصف إسخيلوس احتفاء الأثينيين بالإله الذي ضحى نفسه واحتمل الآلام في سبيل الإنسان

هذه خلاصة سريعة لأعظم درامات إسخيلوس ، وبروميثيوث هي درة فلسفية أعجب بها الشعراء في كل العصور ، وقد عارضها شللي الشاعر الانجليزي بمنظومة رائعة جرى بها في أذيال إسخيلوس ... وقد كان إسخيلوس لاذعاً في هذه الدرامة ، فقد سخر بهذا الإله المتغطرس زيوس الذي كان يكره الإنسان ويناوئه ولا يريد له الخير الذي أراده له بروميثيوث . وجماع فلسفة إسخيلوس في هذه الدرامة أن القوة التي تهيمن على هذا العالم يجب ألا تكون قوة مجردة لا عقل لها ، بل يجب أن تتضافر القوة والحكمة بحيث لا تطغى إحداهما على الأخرى لخير الإنسانية وعمار الكون ،

من ذكريات لندن

حـــــرية ...!

للأستاذ عمر الدسوقي

مضى الشتاء متثاقلاً متلكئاً بعد أن أطلق لشياطينه العنان ، تعبث بالأرض عبث الوليد بخذروفه ، وتجوس خلال الديار بوجوه مقطبة مكفهرة ، تتوارى منها ينابيع الجمال والرحمة هلعاً وفرقاً ؛ وتلفح أنفاسها الأوراق النضرة فتذوى ، وأوراق الدوح فتساقط عصفاً مأكولاً ؛ وتزفر زفرات مَرّتْ على زمهرير سقر ، حتى تنتفض لها الدنيا ، وتنكمش فى أبرادها وتسرى فى أوصالها رعدة القر ، وقشعريرة الحمى البرود ؛ أو ترسلها ضباباً أسود بشماً ، يملأ فجاج الأرض ، تطرف منه العيون وتدمع ، وتغص به الحلوق وتشرق ، وتسيل الأنوف وتنتفخ ، وتسعل الصدور وتنقبض ؛ يحجب الشمس ، ويعطل الحياة ، ويحيل السبل سراديب مدجنة يرتطم فيها الأحياء بالجمادات وهم يتحسسون طريقهم ، وتتراءى فيها الجمادات مردة طليت بالقار ، أو اشتملت بمسوح نسجت من أديم الليل البهيم ؛ أو ترسلها ريحاً زفوفاً مزمجرة ، تهز الأرض هزّاً عنيفاً ، وتزأر زئيراً منكراً كئيباً ، يصم الآذان ، ويرجف الأفئدة ...

حتى إذا خالت الشياطين أن الدنيا قد هلكت رعباً ، وحالت جثة هامدة باردة ، وأشلاء ممزقة مبعثرة ؛ دفعت بالثلج كفناً أبيض يتراكم كسفاً ، ويجلل الأرض بقطع بيضاء هشة ، كأنها زبد الموج الصاخب ، أو شعر عجوز شمطاء اجتثته وهى مغيظة محنقة ، أو العهن المنفوش ، أو القطن المندوف

ثم حشدت فيلق المزن فى عنان الجو ، تتردى حبر الحداد ، وتبكى وتنتحب ، وتجهش بالعويل ، فتسمع لها شهيقاً وزفيراً ؛ وتسكب الدمع مطراً هتوناً تسقط حباته على الأرض كأنها نقرات الدفوف ، أو عصا جبار ينكث الأرض موجدة وغيظاً ، أو حجرات مسلم متعبد يرجم الشيطان بمنى ؛ ثم تزدحم به الأودية فيطغى ويكتسح كل ما يعترض موكبه الهائج وتياره المائج

وها قد نفخ الشتاء فى بوقه ، فحشرت إليه شياطينه من كل فج ، وولى مشيعاً باللعنات ، وطفقت حرارة الحيـاة تتمشى فى أطراف الدنيا ، فتنهض الطيور الهاجعة ، وتتثاءب البراعم الوسنانة ، وترقع الرياض ما بلى من كسائها بالحشائش الحواء ، وتوشيه بالأزهار اليانعة العبقة الشذى

وها هى ذى ذكاء تبرز صفراء عليلة ، غب احتجابها الطويل ، ثم تتوارى فى خدرها بعد هنيهة ، ثم تبدو أثبت قدماً وأربط جأشاً .

وتحاول السماء أن تتجرد من ثياب الشتاء القاتمة الغليظة ، فتمزقها إرباً إرباً ، فتظهر أجزاء من أديمها الأزرق الصافى خلال بردها المهلهل الخلق

وهرع أهالى لنـدن إلى العراء ليشهدوا آخر معركة بين التوأمين الربيع والشتاء

وجاءتنى ربة الدار فرحة متهللة ، مشرقة الطلعة ، كأنما نفث الربيع فيها من سحره ، فغدا وجومها بسمات ، وحديثها ضحكات فحيت تحية كأفواف الزهر ، ثم تغنّت بفتنة الطبيعة فى ديارها إبان الربيع ، فحسبتها قمراً يُرَجِّع على فنن دوحة تميس فى الحبر السندسية البديعة ، أو مِزْهر عازف يوقع أنشودة الجمال الرائع ؛ ثم قالت :

— حذار أن تظل حلس بيتك فى مثل هذا اليوم النادر ،

فإذا اختل التوازن بينهما لم يصح أن تكون هناك آلهة .. إذ كيف يكون إلهاً ذلك الذى يعذب إلهاً آخر (بروميثوث) ثلاثين ألف سنة ؟ بل كيف يكون هذا الإله عاقلاً ؟

وبعد ، فلقد كان إسخيلوس يحتقر الديانة اليونانية ويعرف أنها أضغاث، وقد احتقرها من يوم نبوءة دلفى التى أمرت اليونانيين بأن يستسلموا للفرس لأنهم لا يغنون عن أنفسهم من شرهم شيئاً. فلما انتصر اليونانيون آمن إسخيلوس بإله عادل يسيطر على الكون ويقهر الظالمين ، ويرعى الضعفاء ، فلم يأل جهداً بعد هذا فى هدم هذه الآلهة الكثيرة التى خلقها السلف ووقع فى عبادتها الخلف عن جهالة وغباء

هذا هو إسخيلوس الدرامى الأول ، فلعل دراسته تمنعنا من الإسهاب فى تاريخ من يليه من أدباء اليونان

دريني خشبة

فسرح الطبيعة عندنا جم المناظر ، تارة يلفظ شُواظاً من نار فتقبع المخلوقات فى دورها ، وتارة يبتسم ابتسامة الرضا فينسى الناس فترات تجهمه ، فيمدون إليه بقلوب يستخفها الطرب ، ويتملكها العجب . إن أشعة الشمس فى بلادنا نفيسة كالذهب الوهاج ، يتهافت عليها الناس ويدخرونها لأوقات يربدُّ فيها وجه السماء ، وما أكثرها حتى فى هـذا الفصل الذى تخطر فيه الدنيا فى حلة قشيبة من النَّوْر ، وتتنفس فيه الرياض عبيرَ الأقحوان النَّدّ ، والياسمين والورد

— لقد حدثتِ فأطربتِ ، ووصفتِ فأطنبتِ ، فهل لكِ أن تهديني إلى أى الحدائق أبهج للفؤاد ، وأجلى لصدى النفس ، وأمتع للنظر ؟

— إن لندن يا سيدى مدينة تزخر بألوف الألوف من البشر ، مترامية الأطراف ، واسعة الجنات ، فسيحة الرقعة تتمثل فيها الحياة العاملة المجدة ، والحركة الدائبة النشطة فى أوجها ؛ ترى قُطُر الكهرباء تجرى فيهـا رائحة غادية ، فى سراديب تحت الأرض ، وعلى قضب فوقها ؛ وترى أسراب السيارات تجوب أرجاءها ألوفاً ألوفاً ، فمنها ذوات الطبقتين كأنها بواخر تمخر عباب اليم ، ومنها القميئة التى تنساب فى الطرقات انسياب الصِّلال وسط الأحراج والأدغال ؛ والناس فيما بين ذلك يهرولون زرافات ووحداناً ، كأنما الحياة الدنيا قد أفلست وعرضت ذخائرها ، وهم إلى الغنيمة يهطعون ولهم ضجيج يفزع الكواكب فى مسابحها ، والشياطين فى معاقلها

وحرى بنا ونحن نتنفس هواء قد أفسدته الصناعة ، وأنفاس الخلق ، أن ننشىء الرياض العريضة الرحبة ، تخططها البحيرات الجميلة الجذابة ، ففيها نستجم من نصب العمل والحياة المضنية ، وإليها نهرع إذا ضاقت صدورنا ، وكادت أرواحنا تزهق من حر أنفاسنا . ولكل روض خاصة : فإذا نشدت الهدوء والعزلة ، والمنظر الخلاب البهيج ، فدونك «الريجنت» ؛ وإذا شئت أن تدرس طباع الشعب عن كثب ، وتشهد صراع الفكر ، وخطباء النّدى ، والجموع الغفيرة ، والحرية المطلقة ، فدونك « هايدبارك » ؛ وإن كنت مولعاً بالتلال المعشبة ، والرُّبى الخضراء ، والوهاد الفسيحة ، والطبيعة الساذجة الغفل التى لم تصقلها يد البشر ، فاعمد إلى « هامستدهيث » ؛ وإن كنت مغرماً بدرس النباتات وأنواعها المختلفة وأشكالها المتباينة ، فعليك بحدائق « كيو » حيث يمثل فيها نبات الدنيا جمعاء . وهناك رياض أخرى لا تقل رونقاً وبهاء وحسناً ورُواء عما ذكرت

— لقد شِدت — يا سيدتى — بمدينتك فخورة مُدِلة ، ولا عزو ، فأنتم أمة لم تنس نصيبها من متع الدنيـا وزخرفها . فها هى ذى لندن ، قد تجلت فى مبانيها سلامة الذوق والانسجام البديع ، وحفت طرقها بالأشجار ، وزينت منازلها بالحدائق الصغيرة سيان فى ذلك بيت الأمير وبيت الحقير . وإنى لنصيحتك جِدُّ مطيع ، ولك منى ثناء عطر جزاء وفاقاً على ما أتحفتنى به من حديث ممتع طريف ؛ فعمى صباحاً ، وإلى اللقاء ...!

ذهبت إلى « هايدبارك » وهأنذا ألج ساحتها المزدحمة

يا عجباً ! هنا منابر وخطباء ، وهنا جموع محتشدة تنصت وتنتقد وتجادل وتسخر وتحتد ؛ وعلى كل منبر رَق مرقوم ، يفصح عن الفكرة التى يدعو إليها الخطيب أو ينافح عنها . والناس ينتقلون من حلقة إلى أخرى كأنهم زُمَر النحل ، تقتطف من كل زهرة قطرة ؛ حتى يقعوا على ما يَلَذ لهم حديثه ، فيرهفون السمع ويعملون الفكر ويجادلون المتكلم أحرَّ جدال

هاك شيوعياً يبسط للناس مبادئ عقيدته ، ويلوم فى حدة وسلاطة وعنف ، هؤلاء الذين كنزوا الذهب والفضة واستعبدوا بهما الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؛ وأخذوا ينعمون بأطايب الحيـاة ، ويبعثرون النضار فى سبل الفسق ، بينما يَغَص المجتمع بقوم يبيتون على الطوى ويندبون جَدَّهم العاثر ، وزمنهم الغادر . ويدعو بكل ما أوتى من ذرابة لسان ، وشجاعة جَنان ، إلى تقسيم الثروات حتى يتساوى الناس فى الشقاوة والسعادة ، والغنى والفقر

وهاك اشتراكياً لا يشتط كتربه وإنما يطلب — كما يقول — العدل والرحمة ، والرفق بمن يكد ويكدح لينعم سيده ويقوى بمن يذوى شبابُه ، ويراق دمُه ، ويَضنى جسمه فى المصنع والحقل ؛ ليقدم للإنسانية عُدة الترف والبذخ ؛ مفنداً فى لباقة وطلاوة حديث ما يتصدى له الشيوعى من دعوة ترى بالعالم فى أحضان التهلكة والدمار ؛ وكيف يُسَوَّى بين الذكى والغبى ، والشجاع

والرعديد ، والقوى والضعيف ، والجاد والخامل ... ؟ وهل الحياة الدنيا سوى كفاح وجهاد ، وصراع وجلاد ، يفوز فيه من قويت مُنّته ، وحسنت عدته ، ودأب على العمل لا يَكِل ولا يمل .. ؟

ثم يعرج على أزمات الأمم فى عصرنا هذا ، وأنها نتاج استبداد الأغنياء بالفقراء ، ولو رعى الأول حقوق الثانى لأخلص الثانى فى خدمة الأول ولاستقام العالم وعاش فى بَلَهنية ووفاق . ولم ينس أن يَصُبّ ذَنُوباً من ألفاظ السباب على الحكام المستبدين وقتلهم لحرية الأفراد ، وتسخيرهم الأمم لإشباع مطامعهم

وهاك يهودياً يبكى ويستبكى ، ويناشد القلوب الرحيمة والعقول السليمة ، أن تنصف شعب الله المختار ، الذى كتبت عليه الذلة والمسكنة ، والذى طارده الحكام المستبدون فى كل بقعة عقد لهم فيها اللواء ، وكتب الظفر ، فبات شريداً طريداً ، خالى الوفاض ، كسير القلب ، مهيض الجناح . ويقول : إننا قطعة من الإنسانية المعذبة ، وأنتم يا أبناء التاميز قد رُبيتم على البر بالمحروم ، والنصفة للمظلوم ، ولا نطلب منكم سوى ديارنا التى كنا نقطنها منذ ألفى سنة ، وما تركناها إلا قسراً وقهراً ؛ جودوا لنا بفلسطين، نُحيلها جنّة من جنان الخلد ، ومعقلاً أميناً يصد كل من تحدثه نفسه بالتعدى على طرق الامبراطورية العتيدة . ينفذ بمثل هذه العبارات إلى أفئدة الناس فيأسرها ، ويستدر دمعهم ، ويكسب عطفهم .

وهاك قسيساً ، قد ارتدى مسوحه ، ووقف فى وقار وتزمت ينادى القطعان النافرة من حظيرة الكنيسة : أن ارجعوا إلى بارئكم ، فالباطل لا يغنى من الحق فتيلا ، وأن لكم فى طمأنينة الروح عوضاً عن فقدان المادة ، وأن الحياة الدنيا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ؛ يدعها الإنسان وحيداً إلا مما قدمت يداه ، فلا مال ولا عتاد ، ولا جاه ولا سلطان والآخرة خير لكم وأبقى

وهاك امرأة ، قد تملكتها نزعة صوفية ، فبرزت فى أسمال ، وأطمار وطفقت ترفع عقيرتها منشدة الأغنيات الدينية فتجذب إليها جموع الناس ، ثم توسعهم لوماً وتأنيبا على تقصيرهم فى حق المسيح ، حتى إذا انفضوا عنها ضاحكين هازئين عادت تغنى مرة أخرى .

وهاك ملحداً يسفه الشرائع والأديان ؛ وهاك عالماً يشرح للدهماء أصول علم النفس وقوانين الاجتماع .

وهاك حبشياً يثير حماس القوم ضد القوة الناشمة ، والأمة الظالمة ، ويلجأ إلى سجايا الانجليز الكريمة ، وأريحيتهم ومروءتهم وتقديسهم للحرية ألا يدعوا وطنه يذهب نهبة لأطماع الاستعمار ، وقرباناً على مذبح الغدر بالعهود والحنث بالذمم .

وهاك سفسطائياً يبرهن على أن الانجليز هم « شعب الله المختار » لا بنى إسرائيل ، وأنهم أولى الناس بحكم العالم .

وهاك نازياً ، يبرق ويرعد ، ويتهدد ويتوعد ، ويهدر كالسيل الجارف ، ويغزو الديمقراطية فى عقر دارها ، ويرميها بالتفكك والانحلال ، والضعف والفساد ؛ لاتباعها أوهاما وخزعبلات ، وتعلقها بمثل لا تغنى أمام جبروت المدفع شيئاً ؛ ولما لأوشاب الناس فيها من أيد وقوة ، فيتخلف عن دست الحكم ذو الرأى الرشيد ، ويطفر إليه من لا يقيم للأمور وزنا ؛ ويرمى المجالس النيابية بأنها ميدان للثرثرة وقتل الوقت ، ويقول :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهالهم سادوا

يا قوم ، ألقوا أعنة أموركم ليد مصلحة سديدة ، ففى ذلك العزة والمنعة ، والعدل والمساواة ، طهروا دياركم من اليهود الذين امتصوا دماءكم وأنتم فى غفلة ساهون . ألم يسيطروا على صحفكم ويوحوا إليكم بما تعتقدون ؟ ألم يخضعوا المسرح والخيالة لسلطانهم المالى ، ويعرضوا عليكم ما يشاءون لا ما تريدون ؟ ألم يغتصبوا ينابيع الثروة منكم ، ويصيروكم فعلة مأجورين ؟

إن آفات المجتمع — يا قوم — تجد المرعى خصباً ممرعاً ، فى ظل الديمقراطيات ؛ حيث يتغنى الناس باسم الحرية فتوزع جهود الأمة ، ويتفرق الناس شيعاً ، ويُشغلون بالحزازات الحزبية عن السير فى طريق الإصلاح والفلاح

راعنى ، وأيم الحق ، تلك الحرية العجيبة ، وكيف أن عقول الناس فى هذا البلد ، تصغى إلى كل هذه المبادئ المتباينة ولا تتأثر بهـا ، وكيف أن حلمهم يسع كل هذه الطعنات فى أنظمتهم وعقائدهم وآرائهم . ولو كان هؤلاء الدعاة فى أمة أخرى غير انجلترا

زجوا فى غيابات السجون ، أو حزت ألسنتهم أو قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف لما ينفثونه بين الناس من سموم ، وما يريدونه من شر بالحكم ونظامه والمجتمع واستقراره

تركت تلك الجلبة الصاخبة ، وأخذت أجوب الحديقة ، فشاهدت ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ؛ رأيت الفضيلة تذبح فى معبد الشهوات ، والناس لا يتورعون عن الفاحشة تحت شمس الضحى ، وقد عادوا أشبه بالضوارى فى أدغالها ، لا قانون ولا نظام ولا حرمة ولا حياء . انتهكت الأعراض علانية ، ووطئت المكارم طواعية ؛ ولم يرتفع صوت يهيب بهم : أن رفقاً بمبادئ الإنسانية والشرائع الدينية ، والمثل الخلقية

بل سمعت أدهى من ذلك وأمر ، أعنى حماية رجال الشرطة لكل من فى الحديقة ، والضرب على يد كل من يتصدى لهم واعظاً أو مبكتاً ، وأن الحديقة حرم يأوى إليه كل من يريد أن يفرج عن نفسه أو يطفئ نار شهوته ، أو يفوه بما يعد جريمة فى مكان غير هذا ؛ وأن الشعب هنا يسير على سجيته وفطرته ، فلا يتقيد بعرف أو نظام ، بل يتمتع بالحرية المطلقة

فقلت : رحماك ربى ، إن هذه أعجوبة العصر ... !

ثم سألت شرطياً : أيتاح لى أن أعتلى منبراً كهؤلاء الخطباء؟

— ولم لا ؟ ما عليك إلا أن تستأجر منبراً وتقول ما شئت ، وإن استجاد الناس حديثك استمعوا لك ، وإن لم يلذ لهم انفضوا من حولك

تركته شاكراً متعجباً ، وقد عقدت العزم على أن أدحض باطل هذا الدجال الصهيونى الذى يفترى على الحق ، ويعلى كلمة الزور والبهتان ، ويدعى وطناً ليس له بحق عربى مبين ؛ وقلت لنفسى : ما دام للدهماء فى هذه البلاد كلمة وسلطان لجدير بى أن أسمعهم صوت فلسطين العربية

ثم عدت وزمرة من لداتى أبناء العروبة ، نتبارى فى تبيان قضية العرب العادلة ؛ وكانت ملحمة حامية الوطيس بيننا وبين الصهيونيين ، سأرجئ وصفها إلى حديث آخر إن شاء الله

عمر السرحى

وليم بتلر ياتس

WILLIAM BUTLER YEATS

الفنان الذى أوجد للأمة أدبا

١٨٦٥ — ١٩٣٩

للأستاذ عبد الكريم الناصرى



— ١ —

فى الثامن والعشرين من شهر فبراير ، وفى روكبرون من كاپ مارتن من أعمال فرنسا ، فقدت أرلندا وفقد معها العالم عبقرياً من النسق الأعلى : وليم بتلر ياتس ، زعيم حركة « الإحياء السلتىّ » وعميد الأدب الأرلندى ، وشاعر أرلندا الأكبر ، ومؤسس مسرحها الأول ، وخالق نهضتها الأدبية والفنية ، وعميد المذهب الرمزى فى الأدب الإنجليزى الحديث ..

كتب النقادة « روبرت لند » بعد وفاة ياتس يقول : « ما كان الفقيد فناناً عظيماً فحسب ، وإنما كان إلى ذلك رسولاً عظيماً من رسل الفن ؛ جعل حياته فى سبيل خلق حركة أدبية ومسرحية أنزلت أمته أكرم المنازل بين الأمم »

ولعل أغلب الذين رأوه فى صدر شبابه ورأوا ذلك الشعر

الأسود الفاحم وتلك « الربطة » المضطربة وتلك اليد الشاحبة ، لم يكونوا ليروا فيه إلا أخا خيالات وأحلام لا قدرة له على عمل ولا صلاح فيه لتنظيم

بَيْدَ أن « ياتس » كان يشتمل على طاقة روحية وقوة حماسية لا حدَّ لها ، وكان فى الوقت نفسه « عملياً » لا يقل عن غيره من أهل التنظيم والإنشاء ، والمعنيّين بمسائل الجمعيات وإدارتها ، حدّة ذهن وسرعة خاطر » — « وإذا كان (البعث الأرلندى الأدبى) حدثاً من أشهر أحداث زماننا هذا فإنه إلى حماسة ياتس ودعايته ينبغى أن يُوجّه أكثر المدح والثناء(١) »

— ٢ —

ولد المستر « وليم بتلر ياتس » فى « سانديماونت » من « دبلن » فى ١٣ يونية سنة ١٨٦٥ ، وكان أبوه مصوّراً معروفاً وكان جدّه لأمّه تاجراً قديراً . أدخل وهو ابن تسع « مدرسة غودلفين » بلندن ، وحين بلغ الخامسة عشرة دخل « مدرسة إراسموس سميث » . ثم دخل الجامعة وتخصّص فى التصوير ، ثم انصرف إلى الشعر . وكان فى العشرين حين نشر فى « مجلة جامعة دبلن » أولى قصائده وهى « جزيرة التماثيل »

***

وياتس نفسه يصف انصرافه إلى الشعر بأنه أكثر من استجابة لدافع من الطموح الشخصىّ « فما كان موضوع أحلامه يومئذ » كما يقول النقّادة فورست ريد « بأقلّ من خلق أدب لارلندة كامل . ففى تلك الأحلام تستقرّ بذور (الحركة الأرلندية) الحديثة؛ ومع أن فكرة إنشاء مسرح قومىّ كانت لا تزال بعيدة ، فإنها هى أيضاً لم تك إلا تطوّراً لطموح غلام لا يتجاوز العشرين »

كيف استطاع ذلك الفتى الصوفىّ الحالم ، الذى كان فيما روت أديبة ناقدة فى كتاب لها عنه عنوانه : « ذكريات خمس سنين » يظلّ ساعات من النهار يقرأ الشعر ، ويترنم به فى زاوية من الدار وهو فى شبه غيبوبة ، ولا يتذكر الجوع أبداً إن لم يذكَّر به ؛ أو ينهضُ فى الهزيع الأخير من الليل ليقضى ما تبقى منه فى الغناء والإنشاد ، والذى كانت الزاوية المذكورة تسلمه الرسالة ليُلقيها ، وهو المطيع أبداً فى صندوق البريد ، فيتناول الرسالة ويضعها فى سلة عظيمة ، ويحمل السلة إلى دار البريد ، والرسالة المسكينة تعلو وتنخفض، وتقوم وتقعد هنالك! والذى اتفق له مرّة أن كان واقفاً وهى إلى جانبه على الرصيف فى الليل ، ينتظران عربة ، والمطر ينهمر مدراراً ، والطريق موحل ، والماء إلى الركب ، فتذكر قصيدة شلى الطويلة : « النّبتة الحساسة » . فاندفع يصب الشعر فى أذنيها وقد مالت المظلة التى كانت بيده بحيث لا تقى أيًّا منهما ! والذى شاهده أحد أصدقائه الشعراء مرّة يرسم صورة لغابة أمامه ، فى وهج الظهيرة ، والشمس تذيب الصخور ؛ فلما دنا من الصورة ، وجد المشهد هو مشهد الغابة ولكن الألوان ... هى أشعة القمر !

أقول كيف استطاع هذا الشاعر الصوفىّ الحالم الذى ما سقنا الأمثلة السابقة من حياة صباه إلا لنبيّن أنه ذاتىٌّ منطو على نفسه ، أن يتزعم الجمعيات الكبرى ، ويترأس حركة قومية وأدبية فنية تعدّ « من أشهر أحداث زماننا هذا ؟ » لست أدرى؛ فذلك سر من أسرار العبقرية والوراثة

ولكن الذى أدريه أن حياته كانت سلسلة باهرة من الفتوح « يتضح مَداها » كما يقول المستر روبرت لند ، « لكلّ مَنْ يقارن بين مركز الأدب الأرلندىّ فى اللسان الانجليزى قبل أن يبدأ ياتس فى الكتابة والنظم ، وبين مركزه عند وفاته . لقد كانت ارلندا قبل ياتس لا وجود لها على خريطة العالم الأدبية ، ولكنها بقيادته أضحت مثوى للعبقرية . فليس لأديب من أدباء هذا العصر أن يفخر بعمل أجلّ من عمله وأبرز »(١)

— ٣ —

لقد التقت فى « يتس » تأثيرات أرلندية وانجليزية وأوربية ، فهو فنان رمزى ، أو لعله شبه رمزى ، يستمد الوحى والمادة من تقاليد أرلندا القديمة ، ومن أساطيرها البعيدة ، ومن مشاهد أريافها وأرضها وسمائها ، وقلما التفت إلى أهل البلاد أنفسهم ، (ولكن أليست عبقرية البلاد هى عبقرية ساكنيها ؟) ويقوم شعره وخصوصاً فى شبابه — وشعر شبابه قد يكون أروعَ من شعره فيما بعد ، وأصدقَ عبارة عن طبيعة عبقريته — على صوفية رقيقة تذكر بغرابة أحلامها وشدة أسرها بصوفية « بلايك » وقد تميل إلى الرمزية وخصوصاً فى مجموعته الموسومة « بالريح بين القصب » وقد ظهرت قبل بدء هذا القرن وبعد اتصال الشاعر

(١) Lynd, «John O'London», Feb., 10, 1939.

(١) ومع ذلك فقد بقى حتى كهولته فقيراً لا يملك شروى نقير . على أنه قدر فى شيخوخته ، فمنح جائزة نوبل سنة ١٩٢٣ . وكان عند وفاته عضواً فى مجلس الأعيان (أو الشيوخ) الارلندى

« بملارميه »(1) كما يقوم شعره على الألوان الناسقة والأضواء الخافتة بوجه عام

ولفظه صقيل نقيّ بسيط . وهذه الصفة وإن غلبت على الشعر الرمزيّ والصوفيّ على العموم ، لكنها في شعر يتس ترجع أيضاً إلى تأثره « بمدرسة ما قبل رفائيل » . وهي مذهب في الشعر يتعلق بمذهب في التصوير تقدّم عليه ، وأساسه الرجوع بالأسلوب إلى أبسط الصور الممكنة مع العناية البالغة بجماله وروعة إيقاعه ، ثم قَصْرُه على التعبير عن معانٍ عاطفيّة أو خياليّة خالية من تعقيد الفكر والفلسفة . « فالفن » فوق كل اعتبار ، والفنّ هو دينُ هذه المدرسة التي لا تدين بغيره . ومما يلاحظ ههنا أن أساطين هذه ، ومنهم يتس ، جمعوا بين فن التصوير وفن الشعر .

ولعلنا لا نغلو إذا نحن قررنا أن هذا الحس بجمال الشكل بلغ في يتس حدًّا هو إلى الإعجاز أدنى .

وليس فهم ياتس بالمطلب الهين الدانى ؛ ولكنك إن فهمت معنًى من تلك المعانى « الضبابية » القصية الحاملة لجو (اللاشعور) السحريّ الناسق ، ارتد جزءاً من أجزاء نفسك لا يتجزأ ، وعنصراً من عناصر حياتك لا ينفكّ يعمل فيك عمله .

وليس ياتس بشاعر من « شعراء الطبيعة » — إن قصدنا بالطبيعة الطبيعة الخارجية — وإنما هو كما سبق القول وبينت الأمثلة صوفى ذاتى «وما العالم الذى نجده فى شعره إلا عالم مرّ فى دنيا خياله فتلفع بالغسق المخيم هناك » . وما الطبيعة عنده إلا مخزن للرموز والحالات النفسية . فصيحة الطير رمزٌ لحبّ مفقود ، أو لقب هام على وجهه فى طلاب حُبّ . وعويل الريح رمزٌ للأسى وشهادة بالألم ، وجَرَيان الماء مثلٌ لذوىّ الحسرة ومضيّ الزمن :

« لقد سمعت الشيوخ الطاعنين يقولون :

كل شيء يحول ،

ولسوف نقضى واحداً إثر واحد ، ونمضى

... وكانت لهم أيد كالمخالب ، وكانت سوقهم ملتوية كأشجار الحسك القديمة ، القائمة بجانب الجدول .

لقد سمعت الشيوخ الطاعنين يقولون :

كل جميل يمضى ،

كما يمضى الجدول ...

وخيال «ياتس» يبدو على الدوام كأنه خيالُ إنسانٍ «متعبٍ» وما هو على ذلك بمتعب . أو خيال إنسان يعيش فى « التخوم » بين عالم الإنس وعالم الجن (على أنى فى الواقع لا أستطيع أن أعبر عن مقصدى بعبارة أبين)

خيال ياتس يتجه إلى « حيث تخوضُ النجاد الصخرية فى البحيرة ، فهنالك جزيرة وريقة ، فيها الأطيار ترفرف وتصدح ، فتوقظ فيران الماء الناعسة ... » وهنالك تخفى الجنيات سلالهن المليئة بالتوت ، وبالكرز الأحمر المسروق ... هنالك :

« حيث الرسالة المعتمة الشهب

تلتمع تحت نور القمر ،

وبعيداً غاية البعد عن أرض (روسز) ،

سرينا ، نحن معشر الجنيات ،

راجلات ،

نرقص قديم الرقصات ،

فتختلط منا الأيدى وتختلط النظرات

حتى اختفى القمر ...

فانثنينا نثب هنا وهناك

ونطارد الفقاقيع الراغية ،

بينما الدنيا مترعة بالآلام

والإنس قلقون حتى فى المنام » . .

« البقية فى العدد القادم » **عبد الكريم الناصرى**

بين طبيب وزوجته

قالت الزوجة وقد جلسا إلى مائدة الطعام : إنى أحب رائحة هـذا الصابون الذى استعمله . نعم إن رائحته قوية ولكن أنا أحب الرائحة فى الصابون

وصاح زوجها الطبيب مندهشاً : احترسى يا عزيزتى من استعمال أى صابون له رائحة — إنك تعلمين أن الرائحة معناها وجود الكحول فى الصابون والكحول يضر الوجه ضرراً عظيما ويجعله ناشفاً قاتماً ويمتص الزيت الموجود فى البشرة . لذلك أنصحك أن لا تستعملى صابوناً فيه رائحة وأفضل صابون للاستعمال هو صابون بالموليف لأنه يغذى الجلد وينعش الوجه ويجعله رائقاً جميلاً جذاباً .

(1) الرمزي الفرنسي ، ومترجم « بو » إلى الفرنسية

العاقل

للشاعر الألماني باول ارنست Paul Ernst

للأستاذ بديع شريف

الأشخاص : (سقراط ، ألسيبياد Sokrates, Alcibiades)

المنظر : (شارع في أثينا أمام بيت سقراط ، السوق في المساء)

(الاثنان يبتعدان من بيت سقراط ، بينما اكسانتيب تشتمهما من النافذة ، ويذهبان إلى سوق المساء)

***

ألسيبياد — حدثتني نفسي كثيراً بأن أسألك يا سقراط عن عيشتك مع المرأة التي تزوجتها لأني أعلم أنك رجل ذكي الفؤاد ، وأنك ما أقدمت على الزواج في صغرك إلا لأمر ، ولا اخترت هذه المرأة إلا بعد تفكير

سقراط — إنك على حق يا ألسيبياد ! فإني ما تزوجت إلا بعد أن علمت أن الآلهة ألقت في نفسي شيئاً وأني أريد أن أقوم به على أتمه ، ولكني وجدت نفسي محتاجة إلى زوج أسكن إليها ، فإننا معشر الرجال لا نستغني عن المرأة ، ولكني ما فكرت قط في مالها وجمالها وحسبها ، بل فكرت دائماً أن تكون لي زوج هادئة قنوع مرحة أستطيع أن أسكن إليها وأفكر في جنبها

ألسيبياد — أتقول إن كسانتيب كائن هادئ مرح ، قنوع ؟

سقراط — أتعتقد أن سقراط تزوج كسانتيب ولم تتزوج كسانتيب سقراط ؟!

ألسيبياد — نعم ، إن كسانتيب أيضاً تزوجت سقراط

سقراط — وماذا تظن في كسانتيب ، هل فكرت في شيء حين تزوجتني ؟

ألسيبياد (ضاحكا) — ظنت أنها تزوجت رجلاً مجتهداً عاملاً يكسب الدرهم ، لتعيش هي مع أولادها على حسب منزلتها في المجتمع

سقراط — يظهر لي أن قولك الحق ، ولكن يا ألسيبياد ! ماذا عساها تقول عني اليوم ؟

ألسيبياد — إنها ملأت الشارع سباً ، وعرفت جميع المارين أنك رجل باهل(١) وأنك تقضي طوال النهار تهذي مع الشباب بدلاً من أن يكون لك محل تعمل فيه .

سقراط — أتظن أنها على حق ؟

ألسيبياد — ليس لها حق ! ولكن لها أن تقول : إنني امرأة فقيرة، أريد رجلاً غير هذا . أريد زوجاً يكتسب ، لا زوجاً يتفلسف

سقراط — ربما تريد قصاباً ، أو خبازاً

ألسيبياد — نعم ! تريد مثل هذين ، فتكون له زوجاً مدبرة نظيفة مجتهدة مقتصدة يخشى بأسها الخدم

سقراط — ألست على الحق حين أقول : إنها امرأة أثرة ، معتدة بنفسها ، غضوب ، سيئة غبية ، حمقاء ؟

السيبياد — لا ! لست على حق ، لكن لك أن تقول : إنني رجل تأمل فرأى نفسه محتاجة إلى زوج هادئة ، مرحة قنوع ، يستطيع أن يفكر في جنبها .

سقراط — لقد وصلنا إلى السوق ، وها هي ذي امرأة الفلاح جالسة، تلك التي ضحكنا منها كثيراً عند ما كانت تحدثنا عن دجاجها وتثني على بيضها . أتعرف ماذا كانت تقص علينا ؟ كانت تقول: عندي عشرون دجاجة وديك واحد، في كل يوم يبضن عشرين بيضة ، آتي بها إلى سوق أثينا فأبيعها ، وإن دجاجي لا مثيل لها في القرية ، وقد يكون في البيضة محان ، لذا لا ينثني عني من اشترى مني أول مرة . ولا أكذبكم فقد تكون بيضة في هذا البيض ذات محين . إنني محسودة من جميع الجيران ، ومن له مثل هذا الدجاج لا يعدم الحساد . إن لي مشترين كراماً يعرفون أن دجاجي من الطراز الأول . وكيف أقتني الردئ وقد ورثت تربية الدجاج أباً عن جد ؟ أتدري يا ألسيبياد ماذا أوحت هذه المرأة إلى « أرسطوفان » فطفق يتحدث عن دجاجها ؟ لقد أطرق أرسطوفان ملياً ثم وضع أصبعه على أنفه وقال: دعونا نذهب إلى دار هذه المرأة ونسأل دجاجها ثم نرى ماذا تقول ؟ إني لا أشك في أنها ستقول : إننا بين يدي امرأة صالحة تنثر لنا الحب الملتوت بكثير من الشهيات في الصباح وعند الظهيرة وفي المساء بنظام لا يتغير . على أننا لا ننسى ذلك الصوت الحنون الذي نسمعه عند كل وجبة ، وإذا قدمت لنا الماء قدمته عذباً صافياً ، وفي كل عام

(١) الرجل الباهل : الذي لا عمل له

تطلى قتنا بالكلس مرة أو مرتين ، وبالإيجاز إننا راضيات عن هذه المرأة ولا نريد امرأة كسلى لا نظام عندها لأننا ما تعودنا الإهمال وعدم النظام. هكذا كان ينشد أرسطوفان في شعره فكلكم ضحك عليه وسخر منه ، لأنه استطاع أن يعبر عن نفسية الدجاج لكن ماذا ترى ؟ إني أرى بين يديها دجاجاً مذبوحاً !

الفلاحة : أتريدون مرق دجاج سمين ؟ هلما ! إنه دجاج حديث الذبح . المساه ، إنه سمين . أنظرا هذه القطعة الصفراء ، إن أجوافهن مبطنة بالشحم ، كل دجاجة تزن أكثر من ثلاثة أرطال

سقراط (إلى المرأة) : يسرني أن أعرف شيئاً عن تربية الدجاج أيتها الفلاحة ! فهل تستطيعين أن تعلميني : أيهما أنفع لك ، ذبح الدجاج وبيعه في السوق ليطبخ ويؤكل أو تعنين به كل يوم فينتج لك البيض وتبيعينه في السوق ؟

المرأة — واحسرتاه ! إن هذا الدجاج الخائن كاد يقضي عليَّ من الحقد والحزن عليه ؛ فإن واحدة منهن باضت بيضة لم يتكامل قشرها ، فأكلنها حالاً فاستذوقنها ، وجعلن ينقرن البيض كلما بضن ثم يأكلنه ، فما حصلت بعد هذا على واحدة . لهذا ذبحتهن . المساهن ، إنهن سمينات . لقد كان لهن بيض نقي يندر وجوده في القرية . ويلهن ! إنهن خائنات

سقراط — شكراً أيتها المرأة الصالحة ، إني لا أريد شراء

الفلاحة — كل واحدة بدرهمين ، منتوفة ، منظفة . أنظرا ، هاهما تان الرئتان ، هاهي ذه القانصة ، هاهوذي الكبد ، والقلب ، كلها موضوعة في الجوف ، إن امرأتيكما تستطيعان أن تضعاها في القدر حالاً

السيبياد (إلى سقراط) — يجب أن نذهب بسرعة

الفلاحة — أما رأيتما غير هذه المرأة المسكينة موضوعاً للهذر والتسلية أيها النكدان ! إن رجلاً مثلك كسلان ، لا يمتلك حذاء يستطيع أن يأكل دجاجاً ؟ (المرأة تستمر في السب بحيث لا يتميز كلامها وهما يسرعان الخطا)

سقراط — ماذا تعتقد يا ألسيبياد في الدجاج ؟ لو استطاع أن يتكلم حين ذبحته المرأة فماذا يقول ؟ ؟

السيبياد (واضعا أصبعه على أنفه) — إنه يقول إن هذه المرأة لخائنة لقد ذبحتنا ، إنها سفاكة ، لقد كان علينا أن نعرف نياتها من قبل !

سقراط — ماذا تظن يا السيبياد ؟ هل تغير الدجاج ، فكان قبلاً صالحاً ثم صار خائناً ؟ وهل تغيرت المرأة حيث كانت ودوداً ثم عادت خائنة سفاكة ؟ ؟

السيبياد (ضاحكا) — إن الدجاج هو الدجاج ، وإن المرأة هي هي. لكن كلٌّ في هذه الحياة يعتقد أنه هو الموجود الأهم . وليس هذا فحسب ، بل على الغير أن يشاركه في هذا الاعتقاد . على أن هذا الغير يعتقد كما يعتقد الأول ؛ لذلك كان الدجاج صالحاً عند المرأة ؛ لأنه كان يقدم لها البيض ، فلما احتفظ الدجاج ببيضه لنفسه أصبح خائناً . وكانت المرأة صالحة عند ما كانت تقدم للدجاج الطعام ، فلما ذبحته عادت سفاكة خائنة

سقراط — وحق الكلب[1] ! إن الأمر يجري هنا كما يجري هناك ، أي كما يجري بيني وبين زوجي كسانتيب

السيبياد — إسمع يا سقراط ! إنك تعرف أنني وقفت حياتي في خدمة الدولة وعالجت شئونها ، ألا يحتمل أن تنشأ العداوة والبغضاء بين الناس كما نشأت بين الدجاج والمرأة ؟ ؟

سقراط — يظهر لي أن هذه الفكرة لم تكن خطأ

السيبياد — وأيضاً ليس كالعداوة بين المرأة والدجاج فحسب بل مثلما بين سقراط وكسانتيب ؟

سقراط — وربما يكون الأمر كذلك

السيبياد — لكن أيترك الرجل العاقل الناس يشتمون ثم يعمل هو ما هو الواجب

سقراط — هذا ما أعتقد .

بديع شريف

(1) يقسم بالكلب

على هامش الفلسفة:

طريقة الأخلاق

للأستاذ محمد يوسف موسى

قلنا فى الكلمة الأخيرة : ما هى الطريقة التى تتبع لمعرفة الخير من الشر ، ولتحديد المثل الأعلى الأخلاقى تحديداً صالحاً مرضياً من الجميع ؟ تساءلنا كذلك بعد أن أثبتنا أن الأخلاق علم من العلوم[١] فيجب أن نسير فى دراسته على الطرائق العلمية التى تصل بنا إلى الغرض فى غير عوج ولا التواء

على أن الفصل فى هذا ليس سهلاً ميسوراً ؛ فهى مسألة ولا أبا حسن لها ! مسألة اشتجر فيها الخلاف بين المفكرين والفلاسفة ، بل لعل الخلاف لا يزال قائماً فيها حتى اليوم . يرى البعض أخذ الأخلاق من الدين — فهو المعين الذى ينقع الغلة ولا يكذب قاصده — أو مما وراء الطبيعة أو من علم الاجتماع ؛ ويرى آخرون أنه من الخير أن نتعرف المبادئ الخلقية بأداة المعرفة المباشرة أى بالحاسة الخلقية التى تدرك الخير والشر من نفسها بدون نظر واستدلال : « استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك » ؛ بينما يذهب غير هؤلاء وأولئك إلى أن الواجب أن يطبق فى الدراسات الأخلاقية الطريقة التجريبية الاستقرائية

الأخلاق الاستنتاجية

من الممكن كما يرى فريق من الباحثين أن نستنتج الأخلاق إما من الدين أو مما وراء الطبيعة أو من العلم الذى تنتهى إليه العلوم وهو علم الاجتماع

بالبحث نعرف أن الأخلاق ، أو المبادئ الخلقية العامة ، فى كل الأديان التاريخية مستقاة من الإلهيات . نرى رجال الدين يقررون أولاً المسائل الخاصة بالله وصفاته وكمالاته ، وبالحياة الأخرى ونعيمها وعقابها ، ثم يربطون بذلك نتائج خلقية مردها للكتب المقدسة . يقررون أن الله لم يخلقنا عبثاً : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون » وأنه لا بد محاسب كلا على ما جنت يداه : « لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت » وأنه لا بد من دار أخرى يكون فيها ذلك الحساب على ما أسلف المرء من خير أو شر : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا » . كما يقررون أن الجنة التى عرضها السموات والأرض « أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس » وأن النار عقبى الظالمين . ويستنتجون من هذه الحقائق الدينية وأمثالها أن المرء يجب أن يكون خيّراً فى كل أعماله ، وأن ينأى دائماً عن الشر وبذلك يصل للكمال الأخلاق . والخير والشر هنا ما جاءت به الكتب السماوية

استنتاج منطقى حسن من الناحية العملية ؛ إلا أنه ليس له القيمة التى تؤتى ثمرها الخلق إلا لدى المؤمنين بالله والدار الأخرى والثواب والعقاب وبهذا أو ذاك من الكتب المقدسة . فكيف العمل بمن لا يؤمن بإله أو رسول ، أو بمن يؤمن بالإنجيل دون التوراة ، أو بالعكس ، أو بهذين دون القرآن الكريم ؟ إذن ليس من الممكن بهذا الطريق أن نصل لتحديد قانون أخلاق يرضاه الناس جميعاً على ما بينهم من خلف فى الأديان والمعتقدات « فضلاً عن هذا فالرباط الذى يكون بين هذه العقائد الدينية والأفكار والآراء والمبادئ الخلقية التى يربطونها بها يكون غالباً واهياً متداعياً ، فلا يكون الاستنتاج قوياً له قيمته وخطره[١] »

وها هو ذا العلامة « جوستاف بيلو Gustave Belot » يقول عن هذه المسألة (من الناحية المسيحية طبعاً) : « ليفتح من يشاء أى كتاب من كتب العقائد الدينية : وحينئذ ماذا يجد ؟ يجد أن الجانب الأكبر منه مشحون بالنظريات الخاصة بالله وقدرته وصفاته وأن الأخلاق تجيء فى المركز الثانوى منه ، وأنه من الواجب أن نكره الطفل على أن يفهم ويقبل نظاماً من الاعتقادات الدينية دون أن نعنى بالتساؤل عما إذا كان فى مقدوره فهمها ! إن رجال الدين يجأرون بالشكوى من تزعزع الأخلاق وتدهورها من يوم لآخر لأن الإيمان يتزلزل من آونة لأخرى . لو أن هذا كان صحيحاً فعلى من تقع التبعة والمسئولية ؟ أليس على هؤلاء الذين يعملون دائماً على تفهيم الأطفال أن الأخلاق تتعلق دائماً بالدين والعقائد الدينية ؟ مع أنه ليس فى مقدورهم حماية هذه الاعتقادات من حملات الشك ومعاركه التى تنشب من حين لآخر . إنه مما يتفق مع حقائق الأشياء كما يتفق مع الحقائق العملية أن نرد للأخلاق استقلالها »[٢]

(١) فى الأعداد رقم : ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ من الرسالة

(١) شالى : الفلسفة العلمية والفلسفة الأخلاقية
Challay.: Philosophie scientifique et philosophie morale.

(٢) دراسة الأخلاق الأيجابية Etude de morale positive.

ينقد هذان الأستاذان الباحثين فى الأخلاق من المسيحيين ، وقد أصابا فى كثير مما نقداه . إن الديانة المسيحية أعلنت فى مبدأ أمدها الحرب الضروس على الفلسفة الاغريقية معلنة أن الأخلاق ليس لها أن ترجع فى معينها للعقل والنظر ، ولا أن تترك للفلاسفة الذين هم بشر يخطئون ويصيبون ؛ وإنما الدين وحده هو الحرى بنشر التعاليم الصحيحة والأخلاق الفاضلة التى يوحى بها العليم الحكيم ؛ ومن ثم أصبحت الأخلاق لا ترتكز على النظر المنطق السليم ، بل على الوحى المسيحى وحده ، وصار أجل الفضائل فى نظر المسيحية هو حب الله والإيمان به اللذان يوصلان إلى الخير الأسمى والسعادة الكاملة فى الدار الأخرى بدل أن كان أرقى الفضائل وأسماها هى الحكمة فى رأى الفلسفة اليونانية

أما الإسلام فلم يبخس العقل حقه ولم يحجر عليه فى التفكير . أمرنا أن نعمل عقولنا فيما خلقت له ، وأن نفكر فى خلق السموات والأرض : « وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون . إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . إن فى ذلك لآيات لأولى الألباب » . كذلك لم يلجأ الإسلام فى تحديد قيم الأعمال الأخلاقية ، وبيان خيرها من شرها إلى ما فيها من منافع وملاذ فى العاجل أو فى الآجل كما يتوهم واهم إذا قرأ وصف الجنة والترغيب فيها ، والنار والترهيب منها ؛ بل هو يخاطب كلا حسب ما يسعه فهمه تمشياً مع الغرائز الإنسانية . حتى إذا فعل المرء الخير رجاء الصواب مرات عديدة أصبح له عادة ، وينشرح به قلبه ويفهم ما فيه من جمال وسمو ذاتيين ، فينتهى به الأمر إلى أن يفعله لذاته وحده. وهذا عين ما أراده الرسول إذ قال: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » . أى أن المثل الخلق الكامل هو ما وصل إليه صهيب وأمثاله من فعل الخير، وترك الشر لذاتهما لا رغباً ولا رهباً.

على أننا نجد فى تاريخ التفكير الإسلامى أن فريقاً كبيراً من المسلمين وهم المعتزلة يقررون أن الأعمال توصف بالحسن والقبح لذاتها لا لأن الشرع أمر بها أو نهى عنها ، فيكون الشرع مبيناً لصفاتها لا مثبتاً لما ليس فيها . ويدللون لذلك باتفاق الناس على كثير من الفضائل والرذائل قبل مجىء الشرائع السماوية ، إلى غير ذلك من الأدلة التى ليس هذا موضعها[1] وليس هذا رأى المعتزلة وحدهم بل كان رأى غيرهم من مفكرى المسلمين وحكمائهم

(1) يرجع فى هذا إلى كتاب المواقف وغيره من كتب الكلام والفرق الاسلامية .

أمثال الفارابى الذى يؤكد أن العقل يستطيع أن يحكم على العمل بأنه خير أو شر بنفسه بدون رجوع للوحى ؛ لأن العقل عنده ليس إلا قبساً من النور الإلهى . وابن طفيل فى رسالة « حى ابن يقظان » يجعل العقل قادراً على إدراك الحقائق كلها [ومنها طبعاً الخير والشر] وعلى العروج فى المعارف العُلى حتى يصل للحقيقة المطلقة ، لمعرفة الله تعالى . وابن رشد فيلسوف الأندلس بل الإسلام يقرر أن العمل يكون خيراً أو شراً لذاته لمان يكشفها العقل ، وليس ذلك لأن الله أمر أو نهى[1]

والخلاف فى هذه المسألة يذكرنا بالخلاف بين الفلاسفة المحدثين فيما سمَّوه « نظرية القيم » . فإنا نراهم مختلفين فى أن القيم التى تقدر بها الأشياء من جمال وقبح وخير وشر وحق وباطل صفات عينية فى الأشياء ؛ كالألوان والطعوم والروائح ، وبذلك يكون لها وجود مستقل عن العقل الذى وظيفته حينئذ إدراكها كما لا إثباتها ؟ أم هى من صنع العقل « يصف بها بعض الناس الأشياء إذا كانت لها فى نظرهم قيمة ، ولهم فيها غرض أو غاية ، ولا توجد إلا حيث توجد هذه الغاية » . ذهبت طائفة إلى الرأى الأول ، وأخرى إلى الرأى الثانى[2] . ولكل وجهة هو موليها .

وأخيراً ، إذا كان أخذ الأخلاق من الدين وربطها به منقوداً من بعض نواحيه كما رأينا فهل من الممكن استنتاجها من معين آخر؟ ذلك ما حاوله كبار علماء ما وراء الطبيعة . وموعدنا ببسط آرائهم الكلمة الآتية إن شاء الله تعالى .

محمد يوسف موسى

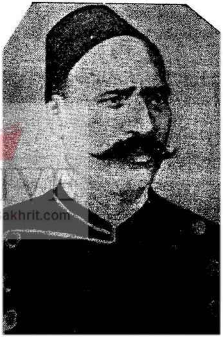
(1) ابن رشد ومذهبه لأرنست رينان . وغيره من المؤلفات العربية .
(2) كتاب فلسفة المحدثين والمعاصرين للأستاذ ا . وولف وترجمة الدكتور أبى العلا عفيفى .

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

للأستاذ محمود الخفيف

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح ، وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟



ظل عرابي في مرحلته الأولى في الجندية ساخطاً على الأتراك والجركس لا يفتر سخطه ولا ينقطع عليهم شغبه ، يكيدون له ويكيد لهم . وإنا لنلمس في هذا سبباً قوياً من أسباب زعامته للحركة العسكرية فيما بعد ؛ فسوف يلتقي في دار هذا المتبرم الساخط رؤوس الساخطين الحانقين من رجال الجندية يوم يزمعون أن يشتكوا إلى الحكومة في أوائل عهد توفيق مما يلحق بهم من سياسة وزير الجهادية الجركسي عثمان رفقي

ويشير عرابي في مذكراته إلى حسن صلته بسعيد باشا حتى لقد أهدى إليه هذا الوالي كما يذكر تاريخ نابليون ؛ ولقد قرأ عرابي هذا التاريخ ، ولست أستطيع أن أتبين على وجه التحقيق ما تركه مثل هذا الموضوع من أثر في نفسه ، فلم يعلق هو على ذلك إلا بقوله : « ولما طالعت ذلك الكتاب شعرت بحاجة بلادنا إلى حكومة شورية دستورية ، فكان ذلك سبباً لمطالعتي كثيراً من التواريخ العربية » . ولست أدري كيف توحي قراءة تاريخ نابليون بحاجة مصر إلى حكومة شورية دستورية ؟ على أن قراءة سيرة هذا الجندي المغامر الفذ الذي وصل بجده إلى قمة المجد الحربي وبلغ أوج الشهرة والجاه توحي إلى كل من يقرؤها معاني الإقدام والبطولة ، وتملأ النفوس تطلعاً وحماسة . وعلى هذا فلا يصعب أن نتصور ما عسى أن تلقيه تلك السيرة من المعاني في نفس كنفس عرابي الجندي المتطلع المتوثب

ويشير عرابي في كتابه إلى أن سعيداً كان يميل إلى المصريين في الجيش وإلى رفع ما يلحق بهم من غبن أمام الجركس ، كما يشير إلى أنه كانت لسعيد نزعة وطنية تجلت في خطبة أثبتها عرابي في كتابه وكان قد سمعها في الحفلة التي ألقيت فيها ، يقول عرابي : « فلما انتهت الخطبة خرج المدعوون من الأمراء والعظماء غاضبين حانقين مدهوشين مما سمعوا ؛ وأما المصريون فخرجوا ووجوههم تتهلل فرحاً واستبشاراً . وأما أنا فاعتبرت هذه الخطبة أول حجر في أساس نظام مصر للمصريين . وعلى هذا يكون المرحوم سعيد باشا هو واضع أساس هذه النهضة الوطنية الشريفة في قلوب الأمة المصرية الكريمة »

ولقد كتب عرابي هذه الآراء بعد الثورة ، ولعل في ذلك ما يدعو إلى ضعف الثقة في قيمتها عند بعض المؤرخين ، كما هو الحال في مذكرات نابليون التي كتبها في منفاه في سنت هيلانة ، فلقد أخذها بعض المؤرخين على أنها دفاع من جانب نابليون عن أعماله بعد أن خلا إلى نفسه فنظر وتدبر

ولكن أعمال عرابي التي لا ينكرها المؤرخون حتى المغرضون منهم لا تتناقض مع كثير مما جاء في مذكراته ، وعلى الأقل في هذا الجانب الذي نتلمس فيه الدليل على ما نحسبه من أن عرابياً قد اتجه منذ نشأته اتجاهاً وطنياً قومياً ، وهذا أمر نراه على جانب عظيم من الأهمية . ففي هذه النزعة القومية نرى عرابياً الحقيقي . أما عرابي الذي صوره خيال المغرضين من المؤرخين فما أبعده عن هذا . وهل كان يحلو لهؤلاء الذين استغلوا حركة عرابي أقبح استغلال ، إلا أن يصوروه أقبح صورة؟ فلا يكون عندهم إلا جندياً جاهلاً

مغروراً واتته الظروف فراح يخبط فى حماقته لا يلوى على شىء ، وما زال فى جنونه يلوح بسيفه حتى اضطر آخر الأمر أن يسلمه صاغراً إلى قائد جيش الاحتلال الإنجليزى !

ما كانت حركة عرابى عسكرية بحتة ، وما كان هو بالأحمق ولا بالمجنون ، وإنما كان لا بد أن تلتقى الحركة العسكرية وهى لا تخلو من الصفة الوطنية بالحركة الوطنية العامة ؛ ثم لقد تم هذا الالتقاء فى شخص عرابى، وكان النجاح حليفه فيما طلب باسم الأمة يوم عابدين ، ولا لوم عليه بعد ذلك ولا جناح أن تحاك الدسائس وتوقد نار الفتنة تنفيذاً لسياسة مرسومة سوف نميط عنها بكل ما وسعنا من حجة ...

هذه النزعة الوطنية القومية فى نفس هذا المصرى الفلاح مع ما توافر له من صفات الغيرة والبسالة ، هى التى جعلت إليه قيادة الحركتين يوم التقتا . ولقد كانت هذه النزعة كما ذكرت تجيش بها نفسه منذ شب . كتب فى ذلك مستر بلنت وكان من أصدقاء عرابى يقول فى علاقة عرابى بسعيد(1) : « وقد حظى عرابى الذى كان وسيما ووجيهاً برضائه حتى سمى أركان حرب له ورافق سعيداً إلى المدينة فى السنة التى سبقت وفاته . وعندى أن عرابى كون آراءه السياسية الأولى أثناء حديثه مع سيده فى هذه السفرة التى كانا فيها متلازمين ، وتنحصر هذه الآراء فى المساواة بين الطبقات ، وفى الاحترام الواجب للفلاح باعتباره العنصر الأساسى المجد فى الجيش المصرى ؛ وهذا الدفاع عن حقوق الفلاح هو الذى ميز عرابيا عن مصلحى ذلك العصر . وغنى عن البيان أن حركة الإصلاح الأزهرية كانت تشمل المسلمين ولا تميز بين الأجناس ؛ أما حركة عرابى فكانت قومية ولذلك كانت الوطنية فيها أظهر ، وإقبال الناس عليها أقوى وأكثر » .

***

وفى عهد اسماعيل يزداد نفور عرابى من الجركس وتزداد ميوله الوطنية وضوحاً باتصاله بالحركة الوطنية التى أخذت تدب فى جسد الأمة المنحل الذى أثقلته سياسة اسماعيل وديون اسماعيل

وكذلك تزداد فى هذا العصر نزعة تمرده وسخطه وتتجلى فى كثير من مواقفه ؛ ومن أهم تلك المواقف ما كان بينه وبين خسرو باشا الذى ما زال يكيد له حتى رفت من الجندية ، وكان خسرو هذا جركسياً ويعزو عرابى سبب رفته إلى أن خسرو قد سار بالوقيعة بينه وبين وزير الجهادية متهماً إياه بأنه : « صلب الرأى شرس الأخلاق لا ينقاد لأوامره ولا يحفل بما يصدر منها عن ديوان الجهادية » . وأما سبب الخلاف بينه وبين خسرو فيذكر عرابى أنه كان فى لجنة لامتحان الضباط وكان على رأسها خسرو ، فأراد أن يتحيز إلى أحد الجراكسة فيعطيه مالا يستحق ولم يرض عرابى على رغم إلحاحه عليه أن يشايعه فى ذلك فعول على الانتقام منه

والذى يعنينا من هذه الرواية أنها تصور لنا شدة الخلاف بين عرابى ورؤسائه فى الجيش مهما كانت أسباب ذلك الخلاف ، كذلك يكشف لنا ما علق به عليها عرابى عن ناحية من عقليته ، فلقد راح يذكر ما حل بمن آذوه من المصائب معدداً أسماءهم مبيناً ما لحق بكل منهم مورداً ذلك على أنه انتقام له من الله . . . وفى هذا نوع من السذاجة لا شك كما أن فيه دليلاً على ما كان للدين من سلطان على عقل عرابى وقلبه

على أن هذه الناحية الدينية فى حياته قد استغلها ضده خصومه كذلك محاولين أن يسوقوها دليلاً على أنه كان رجلاً لا يفترق كثيراً عن عامة الناس فى جميع أفكاره ونزعاته ، دون أن يشعروا أنهم بهذا التعميم الذى لا مبرر له إنما ينالون من عقولهم هم ، أو على الأقل أنهم إذا كانوا يدركون خطأ هذا التعميم ثم يتمسكون به فإنما ينالون من أنفسهم لا من نفسه

كان للدين سلطانه على عقل عرابى ما فى ذلك شك ، ولكن تلك كانت نزعة العصر . على أننا نسأل ماذا يضيره من ذلك ؟ وكيف يساق هذا على أنه من مساوئه وحقيق به أن يكون من حسناته ؟ وهل عاب أحد على كرمويل وهو جندى مثله تزمته وتقشفه وصرامته فى دينه ؟ وهب أنه كان يغلو أحياناً فيخلط بين ما يتصل بالدين وما يتصل بالسياسة فهل مال به ذلك عن منهاجه السياسى أو صرفه عن وجهته التى عمل على بلوغها ؟ وهل يستطيع أحد من خصومه أن يقيم الدليل على أنه اتخذ يوماً من الدين سلاحاً فى غير محله ؟ أو على أنه استغنى بالدعوة الدينية عن الجهاد والقتال حتى النهاية حين عملت خيانة بنى قومه ودسائس أعدائه على انتزاع النصر من بين فكيه ؟

ظل عرابى ثلاث سنوات مبعداً عن وظيفته إلى أن عفا عنه الخديو فعاد، ولكنه طلب أن يحال على الأعمال الدنية كمكافحة الفيضان والإشراف على بناء الجسور من ناحية نقل ما يلزم من

(1) التاريخ السرى ص ٩٩ ترجمة البلاغ

الأدوات ؛ وإنه ليذكر أنه بذل في تلك الأعمال جهداً كبيراً ، ولكنه رأى غيره يكافأ مكافآت مالية أما هو فكان جزاؤه كما يقول: « وكوفئت أنا على تلك الأعمال الشاقة الجليلة بالتقاعد والراحة من غير معاش لحين ظهور خدمة أخرى ، فيالله ما أمر وأصعب تلك المكافآت المقلوبة على النفوس الحساسة الشريفة ! وما أكثر العجائب في الحكومات المطلقة المستبدة الظالمة »

على أن مستر بلنت يذكر أن تكليف عرابي بتلك الأعمال كان على غير رغبته ، وأن ذلك كان سبباً من أسباب نقمته على العهد القائم يومئذ ومن دوافع انضمامه إلى الساخطين والتذمرين

وأعيد عرابي بعد ذلك إلى الجندية وألحق بالحملة الحبشية ، ولكن عمله في هذه الحملة لم يكن عمل الجندي المحارب فقد كان يعمل في منصب مأمور مهمات بمصوع . ولقد عظم حنق عرابي على تلك الحملة فهو ما يفتأ يندد بها في مذكراته ويصف ما حل بالجيش فيها من كوارث في غير موجب. جاء في كتاب مستر بلنت: « وقد عاد منها كسائر زملائه ساخطاً على ما حدث فيها من سوء التصرف ، وإلى هذا يرجع تفرغه الآن للسياسة ، وتعاظم غيظه الذي كان موجهاً بعد ذلك نحو الخديو »

وفي فبراير عام ١٨٧٨ وقعت مظاهرة الضباط الخطيرة؛ تلك المظاهرة التي نلمح فيها بوادر الثورة العسكرية . يتلخص هذا الحادث في أن عدداً من الضباط بزعامة البكباشي لطيف سليم ، قد توجهوا إلى وزارة المالية يطالبون بمرتباتهم المتأخرة ، فلما حضر نوبار باشا رئيس الوزراء وكان معه السير ريفرز ولسن وزير المالية هجم هؤلاء الضباط عليهما وأشبعوا نوبار لطماً ولكماً وراحوا يجرونه من شاربيه ، وامتدت أيديهم كذلك إلى وزير المالية ؛ وكاد يتفاقم الحادث لولا أن خف إلى هناك الخديو بنفسه في فرقة من حرسه حينما نمى إليه خبره ، وأمر الخديو بإطلاق النار إرهاباً فأطلقت رصاصات في الهواء وفر المتظاهرون

ولكن تهمة القيام بهذه المظاهرة أو تدبيرها قد وجهت إلى عرابي واثنين آخرين من الضباط ، وعقد لهم مجلس يحاكمهم وأصدر المجلس حكمه بتوبيخهم وفصل كل منهم عن ألايه إلى جهة بعيدة وكانت الاسكندرية نصيب عرابي ، وفيها اتصل بكثير من الأوربيين

ويدفع عرابي التهمة عن نفسه مقرراً أنه لا يد له فيها مطلقاً إذ كان في رشيد وقت وقوع الحادث ، ذكر ذلك في مذكراته وذكره كذلك في التاريخ الذي كتبه لمستر بلنت بناء على طلبه عام ١٩٠٣ بعد عودته من منفاه . ولقد أطلع مستر بلنت الشيخ محمد عبده على ما كتب عرابي ، فوافق على براءته من هذا الحادث

ولقد أدى اتهام عرابي على هذا النحو إلى ازدياد كراهته لاسماعيل وعهد اسماعيل . ولسوف يكون ذلك من أهم الدوافع التي توجهه إلى الاتصال بالوطنيين بغية معاونتهم والاستعانة بهم على تنفيذ ما كانوا يأملونه من وجوه الإصلاح . ذكر عرابي فيما كتبه لمستربلنت : « ولكن قبل أن نفترق اجتمعنا (يشير إلى الضابطين اللذين اتهما معه) فاقترحت عليهما أن نكون عصبة لخلع إسماعيل . ولو فعلنا ذلك لحللنا المسألة من وقتها لأن القناصل كانوا يرغبون في التخلص منه بأية طريقة ... ولكن لم يكن قد ظهر بعد من يقود هذه الحركة فوافق الموجودون على رأيي ولكننا لم نقدر على تنفيذه »

« يتبع »

الخفيف

نقل الأديب
للأستاذ النشاشيبي

٣٦١ — لا أعرف منهم شخصاً ولا يعرفوني

طلع الدين مستغيثاً إلى الله (م) وقال : العباد قد ظلموني ! يتسمون بي وحقك لا أعرف (م) منهم شخصاً ولا يعرفوني[1]

٣٦٢ — ... حتى نروى أشعار المجانين

في (الأغاني) قال ابن دأب : قلت لرجل من بني عامر : أتعرف المجنون وتروى من شعره شيئاً ؟

قال : أو قد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروى أشعار المجانين؟! إنهم لكثير

فقلت : ليس هؤلاء أعني ، إنما أعني مجنون بني عامر[2] الشاعر الذي قتله العشق

فقال : هيهات ! بنو عامر أغلظ أكباداً من ذاك ، إنما يكون هذا في هذه اليمانية الضعاف قلوبها ، السخيفة عقولها ، الصعلة[3] رؤوسها . فأما نزار فلا

٣٦٣ — ثلاث كلمات بألف دينار

في (سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون) : كان رجل على عهد

(١) نقل عن النووى أنه كان يكره من يلقبه بمحيي الدين ويقول : لاجعل الله من دعاني به في حل، ولذا تحاشى عنه بعض العلماء . وفي (صبح الأعشى) : بقى الأمر على التلقيب بالاضافة إلى الدولة إلى أيام القادر بالله فافتتح التلقيب بالاضافة إلى الدين ، ثم تزايد التلقيب به وأفرط ، ولا شك أنه في زماننا قد خرج عن الحد

(ولا يعرفوني) النون التي سمتها النحاة (نون الوقاية) تحذف جوازاً في الأفعال الخمسة ، وقال بعضهم : إن المحذوفة هي نون الاعراب

(٢) الأصمعي : رجلان ما عرفا قط إلا بالاسم : مجنون بني عامر وابن القرية (بكسر القاف والراء وتشديدها) وإنما وضعهما الرواة (الأغاني)

(٣) رجل صعل وأصعل : صغير الرأس ، وامرأة صعلة وصعلاء (الأساس)

كسرى أنوشران يقول : من يشترى ثلاث كلمات بألف دينار ؟ فتطير منه الناس إلى أن وصل إلى كسرى فأحضره وسأله عنها فقال : (ليس في الناس كلهم خير)

فقال كسرى : هذا صحيح ، ثم ماذا؟

فقال : (ولا بد منهم[1])

قال : صدقت ، ثم ماذا ؟

قال : (فألبسهم على قدر ذلك)

قال كسرى : قد استوجبت[2] المال فخذه قال : لاحاجة لي به وإنما أردت أن أدرى من يشترى الحكمة بالمال .

٣٦٤ — أليس نكوده شهداء الطرب

(مسالك الأبصار) للعمرى : قال محمد بن المؤمل : كنت مع أبي العتاهية في سميريته[3] ونحن سائرون إلى أشموني[4] . فسمع غناء من بعض تلك النواحي ، فاستحسنه وطرب له ، وقال لي : أتحسن أن ترقص ؟ فقلت : نعم . فقال : فقم بنا نرقص . فقلت : في سميرية ؟ أخاف أن نغرق

فقال : إن غرقنا أليس[5] نكون شهداء الطرب ؟ !

٣٦٥ — لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

في (تجارب الأمم) لابن مسكويه (أحمد بن محمد) :

أفرد في دار عضد الدولة[6] (في بغداد) لأهل الخصوص والحكماء من الفلاسفة موضع يقرب من مجلسه ، وهو الحجرة

(١) الجوهرى صاحب الصحاح :

العز في العزلة لكنه لا بد للناس من الناس

(٢) استوجبه : استحقه

(٣) السميرية : ضرب من السفن وسمر السفينة أرسلها (التاج)

(٤) دير اشموني : واشموني امرأة بني الدير على اسمها ودفنت فيه وهو بقطربل (ياقوت)

(٥) إذا كان جواب الشرط مصدراً بهمزة الاستفهام سواء كانت الجملة فعلية أو اسمية لم تدخل الفاء ، ويجوز حمل هل وغيرها من أدوات الاستفهام على الهمزة لأنها أصلها ، ويجوز دخول الفاء فيها لعدم مراقبتها في الاستفهام (شرح الكافية)

(٦) ذكر ابن مسكويه هذه المأثرة في مآثر هذا الملك الجليل ثم قال : وإنما شرحناها لينظر فيها من يأتي بعدنا ويقرؤها الملوك فيعملوا بمثل ذلك لينتشر ذكرهم بالجميل . وفي (ذيل تجارب الأمم) : كان عضد الدولة يكرم العلماء أوفى إكرام ، وينعم عليهم أهنأ إنعام ، ويقربهم من حضرته ، ويفاوضهم في أنواع الفضائل ، فاجتمع عنده من كل طبقة أعلاها ، وصنفت في أيامه للمصنفات الرائقة في أجناس العلوم المتفرقة

التي يختص بها الحجاب . فكانوا يجتمعون للمفاوضة آمنين من السفهاء ورعاع العامة ، وأقيمت لهم رسوم تصل إليهم ، وكرامات تتصل بهم

٣٦٦ — سبحان من لا يقع في ملكه الا ما يختار

في (طبقات الشافعية) : من ظريف ما يحكى عن القاضي عبد الجبار (المعتزلي) أن الأستاذ أبا إسحق الشيرازي (الشافعي) نزل به ضيفاً . فقال (القاضي مداعباً) : سبحان من لا يريد المكروه من الفجار

فقال الأستاذ : سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يختار.

وهو جواب حاضر .

٣٦٧ — أقدر على تركه

في (الغرر والدرر) لأبي القاسم علي بن الطاهر المرتضى : حكى أبو القاسم البلخي : أن عبدالله بن الحسن قال لابنه محمد[1] .

كل خصالك محمودة إلا قولك بالقدر

قال : يا أبت فهو شيء أقدر على تركه . فورد الكلام على رجل عاقل فقال : لا عاتبتك عليه أبداً

قال أبو القاسم البلخي : يقول إن كنت أقدر على تركه فهو قولي، وإن كنت لا أقدر عليه فلم تعاتبني على شيء لا أقدر عليه ؟

٣٦٨ — فشرده بقرض دريهمات

إذا استثقلت أو أبغضت خلقا ... وسرك بعده حتى التنادي[2]

فشرده بقرض دريهمات ... فإن القرض داعية الفساد

(١) المرتضي : حكى أن محمداً وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن كانا ممن دعاهما واصل إلى القول بالعدل ، فاستجابا له ، وذلك لما حج واصل ، ودعا الناس بمكة والمدينة

قال الزمخشري في (الأساس) : سألني بعض المغاربة ونحن في الطواف عن القدر فقلت : هو في السماء مكتوب ، وفي الأرض مكسوب

ويعزى إلى الحسن البصري : من أنكر القدر فقد فجر ومن ورد(حمل) ذنبه على الله فقد كفر

(٢) التنادي : يوم التنادي : وقت القيامة والجزاء (وياقوم إني أخاف عليكم يوم التناد) في الكشاف : التنادي : ماحكى الله في سورة الأعراف من قوله : (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) ، (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور

٣٦٩ — دعوه فإني أعرف عذره ...

في (المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء) : روى أن النضر بن شميل صاحب الخليل حضر مع جماعة من الأدباء فغنتهم قينة :

وقالوا لها : هـــذا محبك معرض ... فقالت أرى إعراضه أيسر الخطب

وما هي إلا نظـرة بتبسم ... فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

وأحسنت ، فطرب الجماعة إلا النضر . فألحوا عليه بالعذل ، فقالت القينة : دعوه فإني أعرف عذره. إنما سببه كون إنشادي: (هذا محبك معرض) ولم أقل : (معرضاً) ألم يعلم أن عبد الله ابن مسعود قرأ . (وهذا بعلي شيخ[1]) فلما سمع النضر ذلك قام وأظهر الطرب

٣٧٠ — من أجل أنك فارس

أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه :

إذا لم يكن صدر المجالس سيداً ... فلا خير فيمن صدرته المجالس

وكم قائل : مالي رأيتك راجلاً ؟ ... فقلت له : من أجل أنك فارس!

(١) في (إعراب القرآن) للعكبري : هذا مبتدأ ، وبعلي خبره ، وشيخا حال من بعلي موكدة ، والعامل في الحال الاشارة والتنبيه أو أحدهما . ويقرأ شيخ بالرفع وفيه عدة أوجه — سبعة يا أخا العرب — أحدها أن يكون هذا مبتدأ وبعلي بدلا منه وشيخ الخبر الخ

وحى الشاعرية

تمرد الخيال

للأستاذ حسن القاياتى

أبت المناءة أن تغازلها المنَى … شَبَهَ الفرادس ما أعزّ وأحسنا
لى من زمانى أن أروع مجادةً … وعلىّ أن أصِلَ الشكاة وأفتنا
لِمَنَ المناءة فى غِنًى ومحبةٍ … كَلاّ فكم تصِمُ المحبةُ والغنى ؟
ما للفتاة ازّينت فهفا بها … لُبُّ الفتى ثم انثنى فازّينا ؟
صَلَفُ الملاحة أنها معبودة … تَصِفُ المهانةَ كلما بُذِلَتْ لنا
قسماً لو ان الحسن أُرسل كله … طَلْقاً لما فتح القُلوب وأوْهنا
كم فاتِكٍ حرس الجمالَ مخافةً … أن يستثير من الحنان الأعْينا
إن الذى خلق الصّباحة زينةً … قالوا تَغَضّبَ أن تلوح فتَفْتِنَنَا !
وَرْدٌ يَرِفُّ نضارةً ما بالُهُ … لا يُجتلَى إذ كلُّ وردٍ يُجتنَى ؟
لولا مخادعةُ الغرائز لم تَرُمْ … متمنّعاً بالحسن إلاّ أمْكنا
أوّاه واكبدى أكلُّ مُحبَّب … إذ كان مُقتَرَحَ العيون تَحَصّنا ؟
فَتَن الجمالُ على الحجاب وقَلّمَا … كان السفور أرقّ منه وأفتنا
الحسن يَختَبِلُ النفوس لأنها … وَصَمت حُلاَه بأن تُذال وتُسْجَنا
زعم الحجا أن اللثام غضاضةٌ … فاليوم إذ سفر الأوانسُ بَرْهَنَا
ليت الذى صنع السلاسل حليةً … للغيد أطلق سربهنّ وغلّنا
للغيد أنفسنا فليت عيُونها … تُوْدى بنا شغفاً إذا لم تُحْيِنا
« إحسان » ما أقسى هواك فليته … فى لين عطفك ما أرقّ وألينا
أخلو فيعصمنى الحياء فمن رأى … كيف انْثَنَيْتُ وفاتنى كيف انثنَى ؟
كَذبُ المنى وكرامة نَشْقَى بها … دون الهوان وعزةٍ تَشْقَى بِنا
ماذا لقيتُ وما أرَبْتُ وشدّ ما … خطب السموّ فتًى أراب فأعْلَنَا ؟
ذو اللُّبِّ تحزنه مشاهدُ جَمّةٌ … واللُّبُّ يعصم ربّه أن يَحْزَنا

أدرِ الحديث عن البيان لعله … يجنى لنا ثمرَ المنَى ولعلّنا
ماقيمةُ الأدب السَّرِىّ وما جنَى … منه البديع سوى أجادَ وأحْسَنا
سَل أفصح الشّادين أيّةُ غِبطةٍ … حلّت ببيت صاغ أو بيتٍ بَنَى ؟
يُزْجُون من رُتَب البيان لمحسن … يَشْآهُ مُقتَبَلٌ يَبُذُّ المحسنا ؟
ليس البديع من العلاء ولم يكن … للأوْجِ أن يُهدي لكوكبه السّنا
كم فاتن تحت الخمول كما شدا … غرّيدُ ليل ما أرقّ وأفتنَا
تَرِفُ الشمائل كَمْ يُتَاحُ لجفوةٍ … كالماء ينبت فى مسالكه القَنَا
يا موحياً سور الإشادة رقيةً … أنا شاعرٌ صفتى ولكن مَن أنا ؟
ملك الفصيح العذب ليتك آخذى … بوثيقةٍ عبدَ البيان الألْكَنا
مَن عزّهُ وَزْنُ الرّجال فقصْرُهُ … ألاّ يصوغ الحمدَ حتى يُوْزَنَا
الرّأيُ أشيعه الأفينُ إذا مشت … فى الشعب خاطئةٌ أصاخ فأمّنَا
شهد الحجا أن الجماعة ضَلّةٌ … حتى إذا قضت الجماعةُ أيْقنَا
أوّاهُ من جَنَفِ العشير فإنه … غَلَّ النُّهَا عَنتاً وفَلَّ الألْسُنَا
العدل فى الأُخري وتلك عُلالةٌ … عدلٌ يُقامُ هناك من ظلمٍ هنا !

الحر يَصْطَنِعُ الإباء فديته … بالشعب يُصْرَعُ بالهوان فيُقتنَى
أمَلُ التّحَضُّرِ كل جَزْلٍ مُفْضِلٍ … شَرِقُ الحجا بعلومه غَضُّ الجَنَى
فى الناس مُبْتَكَرُ الحياةِ وهاتفٌ … شَادِىٌّ غرِّدٌ بالقديم وغَنّنا
إن الحياة فضيلة من هَدّها … سقط الأخسّ من الشعوب الأوْهنا
من عاش لا وطناً حماه ولا انتحَى … للصالحات فكيف عاش بلا مُنَى ؟
النُّبْلُ مُحْتَفَلُ الثراء فلا تَسَلْ … كيف استقلّ الشعبُ بل ماذا اقتنَى

شعبانِ يصطرعان أيّةُ سُبّةٍ … للحزْم إن عَكَفَ الصراعُ وأدْمَنا ؟
يا جَوُّ مالك بالأخوّةِ عابساً … كالماء قَطّبَ للنسيم وَغَضّنَا
وَلَعُ الدسائس كم يسود ونسجُهُ … بيتُ العناكب ما أخسّ وأوْهنا
ظَلَمَ الخِلاف مَتَى الوفاق فطالما … خفّ الجمالُ إلى التّواصُلِ مَوْهِنا ؟
طلب الحيـــاة سرية رَفّافةً … أنّى أعزّ دعاته وأذلنـــا ؟
أين الوئامُ وكلُّ برٍّ قبـــله … صوتُ التآلف كالمُصَلِّى أذّنا ؟
هُبُّوا إلي الرأى الأصيل فإنه … أمنٌ وإن خلافه لن يُؤْمَنَا
الرأيُ أنبَله تجاربُ أشيب … كالسيف نازل دهره حتى انحنَى
صدق الحجا . الحزمُ أشرف نزعةً … والنّاهضُ الوثّابُ أنبلُ موطنا

« الكرنة — دار القاياتى » … حسن القاياتى

قلعة بعلبك

للأستاذ احمد الصافى النجفى

دار وَحْيٍ أم قلعة أنا فيها — كنبيٍّ يستنزل الإلهاما ؟
حرتُ أرنو إلى الطلول وأرنو — لقرونٍ مضت ومجد أقاما
إيه أطلال بعلبك أجيبى ! — أين خلَّفتِ قومك الأعْلاما ؟
هل يبيد الحِمامُ قوماً إذا ما — نهضوا للحروب قادوا الحِماما ؟
هل يبيد الحِمامُ قوماً وهذى — غرَّ آثارهم خلدْنَ عظاما ؟
تلك أرواحهم خلدْنَ بفنٍّ — جلَّ عن أنْ يخلّد الأجساما
إيه باخوس ... كم شربتَ قديماً — مِنْ سلافٍ وكم سقيتَ ندامى ؟
صَرَعَتْهُمْ منك المدامُ .. ولكن — أنت صاحٍ مهما احتسيتَ المداما
كم سقيتَ الورى بجامك خمراً — ثم أعقبته من الموت جاما !
أنت تسقى الوضيع كأسك حيناً — ثم تسقى بها المليك الهماما !
رَفَسْتَهُمْ رجلاكَ لم ترع ذلاًّ — لوضيعٍ ، أو للمليك احتشاما !
والعواميد خلتها في صلاةٍ — رُكّعًا حول معبدٍ وقياما
صَرَعَ الدّهرُ بعضهنّ ، و بعض — واقفات تصارع الأيّاما !
وشجانى من العواميد ستّ — واقفات صفاً يروع نظاما
ناظرات يسألن عن قرناءٍ — قد قطعن القرون والأعواما
دُمْنَ يبحثن عن رفاق فلا — يبصرن إلاّ الإيوان والأهراما
وبقايا من تدمرٍ كعروس — ذات حُسْنٍ بالتّبرِ هَامَتْ وهاما !
يتساءلْنَ هل أخذنا عهوداً — لِلّيالى أو هل قطعنا ذماما ؟
درست دوننا القصور ودمنا — ثم نرجو أنْ سوف نبقى دَوَامَا
يتفاخَرْنَ عكس طبع الغوانى — أىّ أخت تربو على الأخت عاما ؟
يبغض السنَّ من يخاف فناءً — وأخو الخُلدِ يعشق الأعواما
بِمرور السنين يَزْدَدْنَ حُسْناً — ثم يَزْدَدْن لِلْخُطوب ابتساما ؟
يا لستٍّ من العواميد هاجت — فى فؤادى ذكرى تؤجّ ضراما
أىّ شأن لها ، وأيّ ملوك — سجدتْ حول عرشها تترامى ؟
إنْ رأتْ سجْدَةَ الملوك فهذا — الدهر أبْقى لها السُّجود احتراما !
أنا أكرمتها بدمعى احتراماً — وكرام الأنام تبكى الكراما
يا لستٍّ من العواميد تُلْقَى — لجميع الورى دروساً جساما
واقفات كأنهـــا خطباء — تعظ الأرضَ والسَّما والأناما
قائلات : المجد يبقى وإنْ كا — نَ بنوه تحت التراب رماما
يا لستٍّ من العواميد كم قد — رفعت ثمّ نَكّستْ أعلاما
صافحت فى الزمان رُومًا وعرباً — ونصاري الغزاة والإسلاما
صافحتهم وودّعتهم بكفٍّ — لم تطوّل وداعها والسّلاما
ولكم أبصرت ولم تتزعزعِ — عادياتٍ تجرّ مَوْتاً زؤاما
كم تلقّتْ بصدرها مِنْ سهام — ورأت للعدى قناً وحساما
بسمت نحوها الغزاة وعادت — وهى تذرى لها الدموع انسجاما
يا لستٍّ من العواميد ظلّت — كشموعٍ لِلدّهْرِ تجلو الظّلاما
قد تمالَيْنَ فانحدن رؤوساً — ثم أحكمنَ فى الثرى الأقداما
حاكيات وسط الفضا أخوات — قد تماسَكْنَ واتحدنَ غراما
وضع الحسنُ والبها تاجَ حسن — واحداً فوق رأسهنّ تسامى
وَحّدَ الحسنُ بينهنّ بتاجٍ — حيث فى الحسن قد بلغن التّماما !
فتماهَدْنَ فى كفاحِ اللّيالى — لا يبارِحْنَ حظهُنّ انهزاما
أو كقوّاد جَحْفَلٍ قد أطلّوا — يصدرون الآراء والأحكاما
يتناجون دون تحريك هام — حيث ولّوا نحو الجيوش الهاما
ظلّ بعضٌ يفضى لبعضٍ برأيٍ — واستمرّوا يراقبون الصّداما
يا لستٍّ من العواميد تبكى — أخوات لها قضين انهداما
هدّمتها كفّ القضا فاشتهت لو — حطمت معول القضا الهدّاما !
ذكرت عهدها القديم فأمست — وهى يقظَى تشاهد الأحلاما
كم وعت خطبةً وأصغت لنجوى — آه ... لو أنها تعيد الكلاما ؟
تتراءى كأنها كفّ جبّا — رٍ عظيمٍ زادوا بها إبهاما
جسمه القلعة المهيبة لكن — ألْبَسَتْهُ يد البِلى أسقاما
فانهدامَاتها جراح بجسم — طالما مارس الوَغى والزّحاما
كسرت عظمة الليالى فلم — يُبْدِ انكسارًا ولا اشتكى آلاما
وسبتنى فيها تماثيل غيد — عبدتها أهل الهوى أصناما
سكب الفجر ضوءه فى ثنايا — ها وألقى الضحى عليها ابتساما



الإسلام (والاتيكيت)

الأتيكيت أو الآداب العامة

دراســـة وتحليل

للآنسة زينب الحكيم

نصت الشرائع السماوية كلها، على مراعاة الآداب العامة في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية. وإذا أنا اخترت أن أبين نسبة آداب الفرنجة إلى الآداب الشرقية وعلى الأخص الإسلامية منها، فما ذلك إلا لشدة الشبه بين هذه وتلك، ولأن في الإسلام وهو دين الاجتماع والتشريع الإنساني الرفيع — مالو عرفناه وعملنا به — لما احتجنا إلى التقليد والنقل، مما تضيع معه قوميتنا الشرقية، وتتلاشى به شخصيتنا المصرية

ولقد اطلعت على كتب كثيرة شرقية وأجنبية فى هذا الصدد حتى كوّنتُ فكرةً تحليلية عن الآداب العامة ونشأتها

فمجمل الكتب الشرقية (الإسلامية على الأخص) تشير إلى أنه من الواجب على الإنسان كفرد، وعلى الأمة كجماعة، أن تقوم بواجب الآداب العامة نحو الخالق الذى أوجدها سبحانه وتعالى؛ فتقر بفضله تعالى عليها — وتعتبر هذه أول خطوة فى الآداب — ثم المحافظة على ما ورثته من نظم، وأن تتبع هذه النظم، وتسير على مهل فى سبيل الانتقال بها من طور إلى طور أكمل منه فى غير اهتزاز وعنف. كل هذا يكوّن الميراث التقليدى الأدبى، ونكون قد تدرجنا على شبه ما تدرج بالبرية موجدُها الأعلى من مهدها ومن زمنها الأول إلى الآن

والأديان السماوية أدل شىء على هذا التدرج المعتدل، فإن من يترسم خطى هذه الأديان، يلحظ سمة الطفولة على التوراة،

يشتهى الثغر لثمها وهى صخر   ويذوب الفؤاد فيها هياما
هِمْتُ فيها فقلت هزؤاً بنفس   أيّ صبٍّ قبلى أحبّ الرّ كاما
عاريات مثل الملائك لم يســــدلن ستراً ولا وضعن لثاما
تخذت عفة النفوس رداء   وسنا الحسن فى الجبين وساما
لم تشوّه بالصبغ يوماً وجوهاً   جعل الحسن عندهن مقاما
هنّ مهما شاب الزمان صبايا   راميات بلحظهنّ سهاما!
وشجتنى منهن هيفاء خود   سامها الحظ دونهن اهتضاما!
شوّه الدهر ثديها بانكسار   قبل أن يبلغ الرضيع الفطاما
فرنت نحو صحبها بانكساف   خوف نقص يعزى إليها اتهاما
وتمنّتْ لو اكتسين جميعاً   برداء ليستر الأجساما!
ورأيت الضرغام فارتعت منه   أىُّ قلب لا يرهب الضرغاما؟
مُطْلِياً صمته المهيب زئيراً   ساكناً خضرة السما آجاما
أسد الغاب خلته احتلّ (برج   الأسد) اليوم، واعتلى الأجراما
فاتح الطرف، كاشر الناب، يبغى   أن يخيف القضا إذا ثَمّ حاما
نصبوه فى الجوّ حامى عرين   يقظ الطرف، لا يحب المناما
ظلّ فى الجو حارساً لحماه   ومخيفاً وحش الدجا والطغاما
قام أسد الحمى وظل مفيقاً   لا يذوق الرّقاد حتى لماما
وشجتنى فيها مسارح لهوٍ   وفنون تنوّر الأفهاما
كم عَلَتْ فوق ساحها خطباء   وغوان ترجّع الأنغاما
أقفرت تلكم المسارح منهم   واستحالت ساحاتها آكاما
إنّ أطلالَ بعلبك كتابٌ   قد حلا مبدأً وطاب ختاما
فيه تبدو طلاسم أنا مهما   رمت حَـلاً لها تزد إبهاما
صار فيها وهمى تخلت بأنّى   كنت فيها أجسّم الأوهاما!

(دمشق)   **احمد الصافى النجفى**

ويرى سذاجة الفطرة والتضحية فى الإنجيل ، ويميز اتسام القرآن بسمة الرشد ، ومدى النضوج العقلى الذى يعتمد عليه الانسان للسير فى الحياة وقد هُيِّئ له من أمره رشد

ولهـذا فإن قائد الأمم أخلاقها وطباعها ، والحاجة والزمان هما الكفيلان بإعداد النظم الجديدة ، وأخلاق الأمة هى التى تحكمها . فكل نظام أو تشريع لا يتفق مع هـذه الأخلاق ويمتزج بها امتزاجاً تاماً ، يكون نظاماً مؤقتاً وتشريعاً لا يدوم طويلا

ومما يجب التنبه له أن البيئة والأحوال والحوادث ، تدل دلالة واضحة على مقتضيات الزمن الذى هى فيه ... فلو نظرنا إلى التقاليد فى أى زمن ، ولأى أمة ، وجدناها عبارة عن ماضى الأمة فى حاجاتها ومشاعرها وأفكارها

فالتقاليد إذن : عوامل تشخص روح الشعب والحقبة التى وجد فيها لما لها من تأثير عظيم فى القوم

فإذا بحثنا مثلاً فى ضرورة احتياجنا إلى تقاليد فى الآداب العامة (أتيكيت) من نواح كثيرة تساءلنا :

١ — لماذا نلاحظ قوانين واصطلاحات خاصة ؟

٢ — لماذا يحيى الناس بعضهم بعضاً ، بشتى الطرق مثل الانحناء ، والابتسام ، والسلام باليد ، ورفع غطاء الرأس أخ ؟

٣ — لماذا نقوم بعمل تعارف بين الأفراد ، ونرسل الدعوات بعضنا لبعض ؟

٤ — لماذا نهذب طباعنا وحديثنا ؟

لكى نستطيع الإجابة على أشباه هذه الأمثلة ، يجب أن نتتبع سير المدنية من مبدئها ؛ فإذا فعلنا ذلك ، وجدنا أنه كان من أولى ضروريات الإنسان الهمجى تدبير بعض الطرق ، واختراع بعض الوسائط التى تقنع الهمج من قبائل أخرى بأنه لا يريد المشاجرة ، ولا الاعتداء ، وإنه يريد أن يعيش فى سلام .

ولكن كان من الصعب عليه جداً أن يفعل ذلك مبدئياً . فقد كان تفكيره المحدود مرتبكاً بالخوف وبوعورة الحياة . إذ أن الإنسان فى تلك العصور الأولى كان دائم الارتياب ، شديد التطير ، كثير الظن ؛ وقد كان مضطراً إلى أن يكون كذلك ، لأن حياته كانت متوقفة على حذقه وحرصه

ولكن الحاجة أم الاختراع دائماً . فأقيمت علامات خاصة ، وروعيت أشياء أخذ يميزها الهمج ، وتعارفوا عليها كتحيات سلام وأمان

فتحية اليوم نتيجة مباشرة لتلك الضرورة الغابرة ، ويقاس عليها كثير من التقاليد المتبعة . فإن تحية الأمان هذه كانت أول المخلفات من الآداب العامة التى نطق بها بين الإخوان والمريدين

ولما عرفت قيمة هـذه الشعائر السلمية ، اتبعت تحايا خاصة لكل ظرف ولكل مناسبة مما ساعد على وضع الأمور فى نصابها بأقل مشقة ، وبأخص طريق ، فساد السلام نوعا ما ، وأخذت العواطف الإنسانية تقوى (ومن هنا بدأ عهد جديد فى تطور البشرية) .

فإذا أودعت هذه الشعائر خفايا النسيان ، وأسدل عليها ستار الإهمال كان الغرض استئناف حياة الهمج من جديد .

على أنه لن يكون فى استطاعتنا وأد الآداب دفعة واحدة وهى التى تكونت على مر الدهور ، ولا يمكن أن ينكر أحد أن البشرية نشأت ونمت معها المدنية ، فمن تحية الأمان الأولى ، نمت سلسلة تحايا خاصة ، وأشكال احترام خاصة جمعت الرجال تحت لواء حماية متبادلة ، وصداقة مشتركة ، فتوالت الحفلات ، وحلقات الرقص لتعظيم القوى الطبيعية التى حار العقل البشرى فى فهمها حينئذ ، كالشمس والنجوم ، وقدمت الضحايا لآلهة الخوف التى أزعجتهم ، كالظلام ، والوحوش ، والأصوات غير المعهودة لهم ، كما أقيمت حفلات تأبين الموتى ، وولائم الأفراح ، وغير ذلك .

من ذلك نرى ، أن الهيئة الاجتماعية حريصة على سلامتها ، فهى لذلك أقامت تشريعاً اجتماعيا محدودا واضحا ، مبنياً على الأخلاق والعادات ، فأصبحت هـذه التقاليد تشريعاً ارتآه ، وعمل به نفر ممن تفخر بوجودهم فى زمرتها الجماعة الإنسانية المثقفة الراقية .

فنحن ملزمون إذن أن نتعلم هذه التقاليد رغبنا أو كرهنا ما دمنا نعيش فى جماعات ، وننشد مجتمعاً راقياً فى حياتنا

مما لا ريب فيه أنه توجد عند كل إنسان رغبة للخير ، وإن جانب الخير فى الإنسانية توقظه وتظهره الرحمة والآداب والأخلاق الكريمة بوجه عام . كما أن المران على (الإتيكيت) أو الآداب

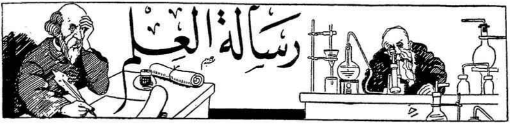
العامة يحتاج إلى أكثر من مجرد استقاء معلومات من معاهد التقاليد الاجتماعية الخاصة بالأخذ والعطاء ، والقبول والرفض ، والدعوات والولائم ، أو عدد البطاقات التى تترك للآخرين بالمناسبات ، أو استعمال الألقاب على وجه صحيح فى التحدث والكتابة . فإن التمرن العملى على (الإتيكيت) يجب أن يبنى على المبادئ الأولية ، وهى الاحترام ، ومشاعر الرحمة والشفقة نحو الآخرين ، وإلا كانت التقاليد مجاملات جوفاء وهذه لا تلبث أن تزول

وإن أميز ما يمتاز به الرجل الملم بمعرفة الآداب (العامة والخاصة) ما يتسم به من وقار وسماحة يغمر من يقابله ، كما يساعده على العمل والقول اللائق الصحيح فى كل موقف من المواقف . فالفرد الذى يعرف كيف يوجد بين جماعة راقية ، لا يدع مجالاً للغضب ولا لعدم الصبر ، ولا يتسيطر ولا يتحكم ولا يضغط على الآخرين بطباعه الجافة

إن مركز الآداب الراقية ، يمنع التبجح مع الرؤساء ، كما يمنع الأحاديث التى تؤلم المشاعر ، ويحبذ العمل على إيجاد رغبة صادقة فى جلب السرور لمن نوجد معهم . فالمرأة والرجل المثقفان يجتهدان فى جعل كل فرد فى مجتمعهما سعيداً مطمئناً (على شرط أن يستأهل هو ذلك أيضاً من جانبه) . ثم إن مشاركة عواطف الغير واحترامهم مفروض على كل فرد مهما كان نوعه ، وذلك واجب عليه سواء أكان غنيًّا أم فقيراً، عالماً أم جاهلاً . ومع أن الأخلاق الرقيقة قد تكون وراثية إلى حد ما ، فإنه يمكن تحسينها وإنماؤها بوساطة البيئة الصحيحة ، وبدراسة القوانين الاجتماعية ومراقبة المجتمع نفسه ، وتطبيق ما حصله الإنسان فى معاهد الآداب عمليا فى الحياة العملية حتى يجنى المجتمع ثمار عمل أفراده وبناته

لعلنا بهذا التلخيص نكون قد أوضحنا بعض الشيء نشأة الإتيكيت وضرورته فى الحياة .

زينب الحكيم



ما هي الحياة
وكيف ظهرت على الأرض ؟
وحدة الأحياء والجمادات

للأستاذ نصيف المنقبادى

أثبتنا فى مقالنا السابق وحدة الحيوانات (ومن بينها الإنسان) والنباتات وبيّنا أن النباتات الفطرية إنما هى الحلقة المتوسطة بينهما وقلنا إن هذا دليل على اشتقاقهما من أصل واحد ؛ وهو الجمادات

ونتكلم اليوم عن وحدة الأحياء والجمادات مستعرضين من جديد الصفات المشتركة بين جميع الكائنات الحية لنبين أنها ليست خاصة بها . بل توجد جميعها ولكن منبثة ومشتتة فى الجمادات ، كما أشرنا إلى ذلك فى المقال السابق

ونقول إجمالاً من الآن إن تلك الصفات الموصوفة عادةً بالحيوية ليست لازمة للحياة ولا ضرورة لها ، إذ أن هناك بعضاً من مظاهر الحياة — هى أهمها وأدقها — تقوم بها مواد كيمائية وأجسام معدنية محضة لا يتوفر فيها شىء من تلك الصفات أو المميزات .

ومن ذلك التخمر

فإذا سحقنا مثلاً كمية من النباتات الميكروسكوبية المكونة من خلية واحدة من النوع الذى يخمر المواد السكرية ويحولها إلى خمر (خميرة البيرة) ، أو من النوع الذى يخمر الخمر ويحولها إلى خل ، أو من النوع الذى يخمر سكر اللبن ويحوله إلى الحامض اللبنى ، ثم نقعناها فى ماء معقم مطهّر ورشحنا الماء بعد ذلك ، نحصل على سائل يخمر هذه المواد مما يدل على أن خواص الحياة ما زالت قائمة فيه . فهل لنا أن نقول إن هذا السائل المرشح كائن حى ؟

وإذا أغلينا هذا السائل إلى درجة المائة فوق الصفر فإنه يفقد خاصة التخمير كأنه مات مقتولاً بالحرارة كما يحدث للكائنات الحية

والواقع أن الذى يقوم بالتخمير وبمعظم أعمال الحياة فى الكائنات الحية من هضم الأغذية على أنواعها ، إلى تحليلها وامتصاصها وتركيبها من جديد داخل أنسجة الجسم وخلاياه الخ إنما هى خمائر تفرزها غدد خاصة فى الأجسام الحية المتعددة الخلايا ، أو كائنات حية أيضاً مكونة من خلية واحدة مثل النباتات والحيوانات الأولية الميكروسكوبية ، وهذه الخمائر تذوب فى الماء وتفعل فعلها هذه وهى ذائبة فيه

والخمائر لا يمكن القول بأنها كائنات حية بالمعنى التام لأنه لا جسم لها ولا قوام ، وهى لا تتغذى ولا تتنفس ولا تنمو ، ومع ذلك تبدو كأنها حية ، وتقوم بأهم مظهر من مظاهر الحياة وهو التخمير على أن كل هذا لا غرابة فيه ، لأن الخمائر التى تسلك مسلك الأحياء لم تخرج عن كونها مفروزة من أجسام حية ، ولكن المدهش حقاً هو فعل المواد المعدنية الغروية ، فقد توصل العلماء إلى تحضير كثير من المواد المعدنية والعضوية على هذه الحالة ، (à l'état colloïdal) ؛ وقد شوهد أن بعضها مثل الفضة أو المنغانيز وغيرهما تخمر المواد القابلة للتخمر . فإذا وضع قليل منها فى شراب السكر مثلاً لا يلبث هذا الشراب حتى يختمر ، لا فرق فى ذلك بين هذا التخمر وبين التخمر الذى تحدثه الكائنات الحية بفعل الخمائر التى تفرزها سوى أن التخمر يتم هنا بأسرع مما يتم فى حالة التخمر الحيوى . وأول ما يتبادر إلى الذهن أن جراثيم التخمر العادية تسربت إلى ذلك السائل من الهواء أو الماء أو من الأوعية والأدوات المستعملة ، ولكن الدقة فى تعقيم كل هذه الأشياء لا تدع محلاً لمثل هذا الاعتراض

وأغرب من هذا فعل الكلوروفورم المخدر فى المواد المعدنية الغروية التى نحن بصددها ؛ فإنه يخدرها ويبنجها تبنيجاً ويمنعها عن مواصلة التخمير إلى أن يتطاير ، ويتلاشى فتعود إلى فعلها هذا المدهش ، وإذا أضيف إليها قليل من سيانور البوتاسيوم وهو سم قاتل ، فإنه يمنع فعلها التخميرى بتاتاً ؛ فكأن هذه المعادن

هـذه الجمادات المحضة — مات مسمومة ولا يمكن أن تعود إلى إحداث التخمر إلا إذا أزيل عنها هذا السم ثم تحولت إلى معدنها الأصلي الجامد ومنه إلى الحالة الغروية من جديد ، وعند ذلك فقط تبعث بعثاً ، وتعود إليها هذه الخاصة التي كنا نظنها مقصورة على الأحياء دون غيرها .

وإذا لوحظ أن في المادة الزلالية الموصوفة « بالحية » التي تتكون منها خلايا الحيوانات (بما فيها الإنسان) وخلايا النباتات وكذلك في الخمائر التي تفرزها هذه الكائنات الحية أثراً من المواد المعدنية التي كان يظن البيولوجيون إلى عهد قريب أنها مواد إضافية لا شأن لها في المادة الحية ، وإذا قورن هذا بما تقدم بيانه من فعل المعادن الغروية ، لأدركنا معنى النظرية البيولوجية القائلة بأن أداة الحياة أو أن الذي يقوم فعلاً بأعمال الحياة في الكائنات الحية ليست المادة الزلالية الخاصة المسماة « بالبروتوبلاسم » وإنما هي تلك الزوائد المعدنية المحضة . وعلى هـذا يكون الجزء الحي في الأحياء هو المعادن المذكورة أي الجمادات الخالصة ، وما المادة الزلالية إلا قاعدة ترتكز عليها تلك المعادن للقيام بأعمال الحياة .

نعود إلى الصفات المشتركة بين الأحياء التي يقولون إنها تميز الحياة ، لنبين أنها ليست وقفاً على الكائنات الحية بل إنها توجد جميعاً بلا استثناء في الجمادات .

التكوين الخلوي والتكوين المعدني

قلنا إن الكائنات الحية مؤلفة من خلايا صغيرة لا ترى بالعين المجردة . ولكن هذه الظاهرة — أي تكوين جزئيات الجسم تكويناً دقيقاً — ليست خاصة بالأحياء ، فإن الأجسام المبلورة المعدنية التي يتكون منها معظم ما على الأرض من مواد كجبال الجرانيت والرخام وكالأملاح العديدة المختلفة وغيرها ، مكونة من بلورات متلاصقة ؛ كما أن جميع الجمادات على الإطلاق مكونة من جزئيات صغيرة جداً (Molécules) ، وهذه الجزئيات مؤلفة من ذرات (Atomes) وقد اتضح بعد اكتشاف الراديوم والأجسام المتشععة المماثلة له أن الذرات مؤلفة من الكهارب (Électrons) وغيرها (تراجع المقالات النفيسة التي جاد بها أخيراً يراع عالمنا المصري الدكتور محمد محمود غالي على صفحات الرسالة عن تكوين المادة)

التركيب الكيميائي

تتركب الأجسام الحيوانية والنباتية من مواد زلالية ودهنية وسكرية كما بينا في مقالنا السابق . ويظهر أن عدم وجود المواد المذكورة بحالتها هذه في الجمادات قد جعلها من قديم الزمان الحد الفاصل بين الأجسام الحية والأجسام المعدنية، حتى أن الكيميائيين كانوا يفصلون فصلاً تاماً بين المواد العضوية التي تستخرج من أجسام النباتات والحيوانات وبين المواد المعدنية، وأوجدوا بينهما هاوية سحيقة لا تعبر . ولكن العلم الحديث قد أزال هذا الحد وأثبت وحدة المادة

وأول ما يلاحظ هنا على مواد الأجسام الحية وعلى المواد العضوية عموماً ، أن العناصر المركبة منها وهي الأوكسيجين والهيدروجين والكربون والأزوت والعناصر الإضافية الأخرى موجودة جميعها في الطبيعة، وتدخل في التراكيب المعدنية التي لا عداد لها بحيث لا يوجد عنصر من العناصر خاص بالأحياء دون غيرها

والواقع أن المواد المسماة بالحية ، وعلى العموم المواد العضوية، مشتقة جميعها من الجمادات رأساً، وهي تتركب منها مباشرة في كل لحظة أمام أعيننا وعلى مرأى منا على الوجه المتقدم بيانه في المقال السابق . فمادة النباتات الخضراء (الكلوروفيل) تستعين بقوة الشمس وتحلل غاز الحامض الكربونيك المنتشر في الجو وتنزع منه الكربون وتمزجه بالماء فتكون منه السكر والنشا والسيليلوز ومادة الخشب والمواد الدهنيـة والأحماض والقلويات العضوية الثلاثية . وفي الوقت نفسه تمتص جذور النباتات التراكيب الأزوتية من الأرض ، وهذه تمتزج بالمواد الكربونية سالفة الذكر بفعل قوة الشمس أيضاً فتتولد المواد الزلالية الحية

وما تنشئه الطبيعة بواسطة النباتات من هذه المواد قد أمكن للانسان أن يصنعه من مواد معدنية محضة ، فقد توصل الكيميائيون إلى تركيب معظم المواد الحيوانية والنباتية ومشتقاتها من الجمادات مباشرة كالسكر والنشا ، وبعض المواد الدهنية ، ومواد الصباغة ، وكثير من القلويات المستعملة في الطب ، وجميع العطور وغير ذلك . ومن المدهش الذي يدعو إلى الإعجاب الكبير أنهم صنعوا عطوراً اصطناعية لا وجود لها في عالم النبات حيث لا توجد زهور تقابلها

ويجدر بنا هنا أن نخص المواد الزلالية بكلمة على حدة لأنها كانت إلى وقت قريب تعد معقل الحياة . فقد ثبت من تحليلها بطريقة علمية دقيقة أنها مكونة من امتزاج بعض الأحماض العضوية الأزوتية والفسفورية ببعض كالحامض النمليك وغيره . وما أن عرف العلماء

ذلك حتى أخذوا يمزجون بعض هذه الأحماض ببعض على صور عديدة مختلفة . فنجحوا فى وضع الجيلاتين والبروتين وزلال اللبن (مادة الجبن) ، وزلال يدعى الكيراتين يدخل فى تركيب أظافر الإنسان والحيوانات الفقرية الأخرى . وهذا النجاح يبشر بقرب الوصول إلى تركيب المواد الزلالية العليا المسماة بالحية .

الشكل النوعى

فضلاً عما ثبت نهائياً وقطعياً من أن الكائنات الحية ليست ثابتة فى أشكالها ، بل إنها فى تغير وتحول مستمرين فى ملايين السنين بحكم ناموس التطور والتسلسل ؛ نقول إنه فضلاً عن ذلك فإن هذه الظاهرة (الشكل النوعى) ليست من جهة شاملة لجميع الأحياء لأن بعض المكروبات غير ثابتة فى شكلها ، بل إنها تتشكل حسب البيئة التى توجد فيها بحيث لا يمكن تمييز أنواعها إلا بمفعولها ، وكذلك الحال بالنسبة للأميبيا ، وبالنسبة لبعض أنواع النباتات الفطرية السفلى من فصيلة الميكزوميست التى سبق لنا الإشارة إليها فى المقال السابق . فإنه ليس لأفرادها شكل معين حيث لا غلاف ولا غشاء لخلاياها فى معظم الأحوال

ومن جهة أخرى فإن لكثير من الجمادات ، ونعنى بها الأجسام المبلورة، أشكالاً ثابتة وهى أشكال بلوراتها الهندسية تميز كل نوع منها من غيره

وأوجه الشبه بين الكائنات الحية والأجسام المبلورة عديدة . فمن ذلك أن الأنواع المبلورة القريبة التركيب كيميائياً قريبة الشكل هندسياً ، كما أن الأحياء كلما اقتربت أنواعها اقتربت أشكالها

وكما يحدث أحياناً أن الأنواع الحية القريبة يتناسل بعضها من بعض مثل الحصان والحمار كذلك يحدث أحياناً أن الأنواع المعدنية القريبة كيميائياً تتبلور معاً مثل حجر الشب فإنه مؤلف من بلورات سلفات الألمونيوم وبلورات سلفات البوتاسيوم مشتبكة بعضها مع البعض

وهناك ظاهرة كان يظن أن الكائنات الحية اختصت بها دون الجمادات وهى استعداد أفراد الحيوانات والنباتات لإصلاح كل تشويه يحدث لها واستعادة شكلها الأصلى بقدر الإمكان ، فإذا جرحت يلتئم جرحها ، وإذا انقطع جزء منها لا يلبث حتى ينمو غيره مكانه، وعلى الأخص فى النباتات والحيوانات السفلى وكذلك فى أطراف أعصاب الحيوانات العليا والإنسان . وهذا ما يحدث للبلورات المعدنية المحضة ، فإنه إذا كسرت بلورة من أحد أضلاعها ثم غُطِّست فى سائل مشبع من مادتها أو فوق المشبع نراها تنمو على الأخص من جهة الجزء المصاب إلى أن يعود إلى حالته الطبيعية وشكله الأصلى فيأخذ مجموع البلورة فى النمو

تغذى الأحياء والجمادات

لعل التغذى هو أهم مظاهر الحياة وأكبر مميز للكائنات الحية، ولكنه غير خاص بها أيضاً بل يحدث لكثير من الجمادات . فبقعة الهواء التى تبدو صغيرة على قطعة المعدن ثم تكبر إلى أن تنتشر على كل سطحه إنما هى تتغذى فى الواقع من بخار الماء والحامض الكربونيك المنتشرين فى الجو ومن مادة المعدن القائمة عليها ، فتنمو وتتسع كما ينمو ويكبر الجسم الحى من التغذى . والبلورات الصغيرة المغموسة فى ماء مشبع من محلول مادتها تتغذى منها فتنمو وتصبح بلورات كبيرة

على أن خير مثال لتغذى الجمادات بالمعنى الحقيقى التام ما هو حاصل فى الآلات الميكانيكية فإنها تتغذى بالفحم أو البنزين أو البترول ، وما الوقود إلا غذاء تلك الآلات تحترق فيها فتولد الطاقة (القوة) اللازمة لقيامها بأعمالها كما يحترق الغذاء بعد هضمه وامتصاصه فى الأجسام الحية فيولد فيها الطاقة اللازمة للقيام بأعمال الحياة ووظائف الأعضاء ، وسنشرح فى مقال قادم ناموس بقاء الطاقة La loi de la conservation de l'energie وانطباقه على الكائنات الحية (بما فيها الإنسان) ، وحسبنا أن نقول اليوم إن جميع القوى التى تعمل فى الحيوانات (ومن بينها الانسان والنباتات حتى التفكير والقوى العقلية ليس لها إلا مصدر واحد وهو الغذاء، أو بعبارة أصح الطاقة الكيميائية الكامنة فى مادة الغذاء

التنفس فى الأحياء والجمادات

ويلحق بالتغذى التنفس ، وهو أيضاً ليس مقصوراً على الأحياء لأن الجمادات التى تحترق بسرعة أو تتأكسد ببطء إنما هى تتنفس، أى أنها تمتص الأكسيجين من الهواء وتفرز الحامض الكربونيك وهذا هو التنفس بعينه ، وقد عرف علماء الفسيولوجيا الحياة بأنها حريق أو تأكسد La vie est une combustion كما تقدم لنا القول ، وما الرئتان إلا مدخنة الآلة الحية الحيوانية، توصل الأكسيجين إلى الجسم وتخرج منه الغاز الناتج من ذلك الاحتراق ، كما هو حاصل فى الآلات الميكانيكية من جميع الوجوه

تحرك الأحياء وتحرك الجمادات

وليست الحركة وقفاً على الأحياء ولا هى خاصة بها ، ولكنها تشمل الجمادات وتعم كل ما فى الكون من الأجرام الفلكية إلى أصغر الذرات وما هو أصغر منها مما اكتشف أخيراً ونعنى به الألكترونات أو الكهارب وغيرها .

ومن حركات الجمادات التى تشبه حركات الحيوانات الأولية الميكروسكوبية الحركة المعروفة باسم حركة براون Mouvement browenien فإننا نشاهد فى كثير من السوائل عند فحصها بالأولترا ميكروسكوب أجساماً صغيرة جداً فى حركة مستمرة وهى لا يمكن أن تكون كائنات حية لأنها تشاهد فى السوائل السامة الكاوية التى تقتل الأحياء وجراثيمها فى الحال كالحامض الكبريتيك وغيره . ولا شك فى أن تحرك هذه الذرات ناتج من تحرك جزيئات المادة المستمر كما شرح الدكتور محمد محمود غالى ذلك أخيراً على صفحات الرسالة .

ومن حركات الجمادات التى تكاد تكون اختيارية حركة الأجسام تحت تأثير الجاذبية أو الألفة الكيميائية، فإنه بمجرد أن تشعر هذه الأجسام بقرب بعضها من بعض تتحرك وتنتقل من تلقاء نفسها إلى أن يتصل الواحد منها بالآخر كأنما يعشق بعضها بعضاً . وأمر حب بعض المواد الكيميائية لبعض معروف فى علم الكيمياء . فالماء مثلاً يصعد من تلقاء نفسه رغم جاذبية الأرض ويندفع إلى الطبقة العليا من الجهاز الخاص بمجرد إدخال غاز الكلور فى هذه الطبقة العليا ، ولا يهدأ له بال إلا إذا فاز بالوصل منه شأن العاشق الولهان . وما عاطفة الحب التى يتغنى بها القصصيون والشعراء من قديم الزمان إلا ظاهرة كيميائية محضة ترجع فى النهاية إلى تلك الجاذبية التى تدفع جراثيم التلقيح المذكرة (مثل الحيوانات المنوية وما يقابلها من النباتات) نحو بويضات الإناث مما سنشرحه فى مقال قادم

ومن حركات الجمادات تحرك نقط المواد الرغوية المعدنية المحضة من تلقاء نفسها كما تتحرك الحيوانات الأولية ذات الخلية الواحدة واستمرار هذه الحركة بضعة أيام فى التجارب البديعة التى قام بها العالم البيولوجى بوتشلى . ولولا ضيق المقام لشرحناها بالتفصيل على أن حركة الجمادات المماثلة لحركة الكائنات الحية من جميع الوجوه إنما هى حركة الآلات الميكانيكية نتيجة احتراق الفحم أو البترول أو البنزين فيها كما أن حركة الأحياء هى نتيجة احتراق المواد الغذائية فى العضلات المحركة لها

التأثر فى الأحياء وفى الجمادات

نقول إن التأثر ليس خاصاً بالأحياء بل إنه يوجد فى كثير من الجمادات، وإذا شئت فقل فى كلها مع التفاوت . فالمواد المفرقعة تتأثر بل تغضب وتنفجر عند أقل لمس . ومواد التصوير الشمسى تتأثر بالضوء ، ولهذه المناسبة نذكر أمر اللوحات الفتغرافية الملونة ، فإنه إذا سلط عليها نور أحمر تلونت فى الحال باللون الأحمر، وإذا سلط عليها النور الأخضر تلونت فى الحال باللون الأخضر . فأملاح الفضة التى على هذه اللوحات لا تتأثر فقط بالضوء بل كأنها تدافع عن كيانه ضده لأنه يقتلها بأن يحللها ويحولها إلى مواد أخرى . فعند ما يسلط عليها النور الأحمر تتلون فى الحال باللون الأحمر لأن هذا اللون يمنع دخول الأشعة الحمراء؛ وكذلك الحال عند ما يسلط عليها النور الأخضر أو غيره . أفلا تكون غريزة حب البقاء القائمة فى الإنسان وفى جميع الحيوانات من نوع هذه الظاهرة الغريبة ؟ وما الفرق بين هذه اللوحات الفتغرافية — هذه الجمادات المحضة — وبين بعض الحيوانات التى تتلون بألوان مختلفة حسب البيئة التى توجد فيها

ومن الأمثلة على تأثر الجمادات ما هو معروف فى علم الصوت من أنه إذا دق إنسان على وتر من آلة موسيقية ، فإن الوتر المقابل له فى الآلة القريبة منها يتأثر ذاتياً ويهتز من تلقاء نفسه اهتزازاً خفيفاً ، ولكنه يظهر جلياً بواسطة الآلة المكبرة للصوت

وقد وضع السير بوز العالم البيولوجى الهندى الكبير الذى زار مصر سنة ١٩٢٨ جهازاً دقيقاً بديعاً لإثبات تأثر المعادن بالكهرباء يدل على أنها تتعب وتضعف اهتزازاتها إذا تكرر تسليط الكهرباء عليها مدة طويلة متعددة . وإذا استراحت مدة من الزمن عادت الاهتزازات التى تحدثها فيها الكهرباء إلى قوتها

النتيجة

يتضح من كل ما تقدم أنه لا يوجد أى فرق جوهرى بين الكائنات الحية وبين الجمادات ، وأن كل ظواهر الحياة توجد فى الجمادات ، بل إن بعض البيولوجيين يرجحون أن الجزء الحى فعلاً فى الحيوانات (ومن بينها الإنسان ، وفى النباتات هو المواد



الموسيقى الايرانيـــة

للأستاذ محمد السيد المويلحي

لم يتح للموسيقى المصرية لسوء الحظ - ولسبب لا أدريه - أن تشترك فى الاحتفاء بمقدم سمو ولى عهد إيران ، كما فاتها حظ الاشتراك مع باقى الفنون العليا فى التعبير عما خالج مصر من عواطف الفرح وخوالج البهجة والمرح . . اللهم إلا تلك الحفلات الهزيلة الشاحبة التى لم تقو على إعطاء سمو ولى العهد الإمبراطورى الصورة الحقة للنهضة الموسيقية المصرية الشابة التى طفرت إلى ذروة رفيعة مرموقة موموقة ... !

وقد سمعت بعض الشائعات التى تقول بأنها أبعدت لأنها غير مفهومة من سموه ؛ فعجبت لهؤلاء الذين طيروا هــذه الشائعات لأنهم لا يعلمون أن موسيقانا بل وجميع الموسيقى الشرقية إطلاقاً من أصل فارسى ، فكيف تنكر الأذن موسيقى نشأت على سماعها منذ الصغر ؟ وكيف لا يستسيغها سموه وهى التى خلقت فى وطنه ؟ إن العبرة ليست بالكلام العربى أو الإيرانى وإنما بالموسيقى التى تصور وتترجم فى حدود الذوق الشرقى !

إن (السلّم) العربى لم يخلق فى مكة أو المدينة ولا فى تركيا أو مصر ، وإنما خلق كما هو الآن فى إيران ثم انتقل إلى بلاد العرب حين غزوها للفرس مع باقى الفنون والعلوم الإيرانية . وظل هكذا حتى انتقل إلى بلاد الترك الذين عرفوا كيف يستخدمونه جيداً فركبوا منه نغماتهم وموسيقاهم التى أضفت على الموسيقى الشرقية لوناً زاهياً واستحدثوا نغمات : النوا أثر ، وشط عربان ، والحجاز كار كرد ، والفرح فزا ، والكرد ... الخ

وليكون القارئ على بينة بالسلم سنكتبه له :

(١) يكاه (٢) نيم قرار حصار (وهى لفظة إيرانية يسميها الترك (كايا) (٣) قرار حصار (٤) تيك قرار حصار (٥) عشيران (٦) نيم قرار عجم (٧) قرار عجم (٨) عراق (٩) كوشت (١٠) تيك كوشت (١١) راست (١٢) نيم زيركولا (١٣) زيركولاه (١٤) تيك زيركولاه (١٥) دوكاه (١٦) نيم كرد (١٧) كرد (١٨) سيكاه (١٩) بوسالك (٢٠) تيك بوسالك (٢١) جهاركاه (٢٢) نيم حجاز (٢٣) حجاز (٢٤) تيك حجاز

* * *

هذا هو السلم الفارسى الذى استعمله الشرق قاطبة واستخرجوا منه حسب استعدادهم الفنى وقدرتهم الموسيقية أنغامهم وألوانهم التى تتفق وأذواقهم ومشاربهم ، وهو يتكون من دوان (أوكتاف) سبعة مقامات : ثلاثة كبيرة وأربعة صغيرة (وهى التى يتكون منها النغم الشرقى الذى لا يعرف الماجيور ، والمنيور أو الميجير والمنير كما ينطقها الفرنسيون ...

المعدنية الغروية التى تدخل كميات قليلة منها فى تركيب خلاياها .

وقد ثبت أن المادة الحية تشتق رأساً من الجمادات على الدوام تحت أعيننا وعلى مرآى منا بفعل قوة الشمس بواسطة مادة النباتات الخضراء (الكلوروفيل) بحيث لا يوجد عنصر خاص بالأحياء .

كما أن القوى التى تعمل فى الأحياء وتدبرها هى من القوة الطبيعية المحضة ومشتقة منها وليس شئ آخر خلافها

وكلما تقدم العلم تلاشى ذلك الخيال الذى كانوا يعتقدون فيما مضى أن له وجوداً خاصاً قائماً بذاته مستقلاً عن المادة .

وما الحياة فى الواقع إلا تفاعلات كيميائية أو بالأحرى طريق بطىء أو تأكسدات مستمرة ، فهى ظاهرة طبيعية مثل باقى ظواهر الطبيعة

نصيف المنقبادي المحامى

دبلوم فى الفسيولوجيا العليا الحيوانية والنباتية
من كلية العلوم بجامعة باريس (السوربون)

وقد ابتكر الإيرانيون النغمات الآتية التي لم يكن الشرق يعرفها حتى سمعها منهم وهي :

الدوكاه (البياتي) والأصفهان ، والعجم عشيران ، والعراق والحجاز ، والسيكاه ... الخ ...

وهي نغمات فارسية أصيلة تدل على قدرة عالية ومكنة متمكنة لا حد لها ... !

قد يقال إن السلم عربي، ولكن الأسماء هي الفارسية؛ وربما يستدل على هذا بما قاله الدكتور (هنري فارمر) من (أن ابن مسجح تعلم فن الغناء الفارسي ، وتلقى أيضاً بعض الدروس عن الموسيقيين الروم العازفين منهم على (البربطين) وعلماء الموسيقى النظرية ، واستعان بما تعلمه في غربته على وضع نظام للنظرية الموسيقية رضي به رجال الموسيقى في عصره . على أن هناك ما يدلنا على أن ابن مسجح رفض الطرق الفارسية والرومانية التي رآها غريبة عن الموسيقى العربية . ومن هذا يستدل على أن هذه النظم الموسيقية المنقولة من الخارج لم تكن سابقة لنظرية الموسيقى الوطنية العربية .

قد يقال هذا ، ولكن أليس فارمر هو القائل :

« ليس من العسير الوصول إلى معرفة الزمن الذي انتقل فيه العرب فعلاً من طريقة الديوان الواحد (الأوكتاف) إلى طريقة الديوان المضاعف أو الجمع التام ، في أيام إسحق الموصلي والكندي ويحيى بن علي والفارابي وإخوان الصفاء كانت أوتار العود الأربعة تسمى من الأعلى إلى الأدنى : زير مثنى، مثلث، بم، والاسمان الأول والأخير فارسيان »

فكيف يستعين الإنسان بأسماء غريبة عن لغته .

ثم يدعى بعد هذا أن السلم له ؟ إن العقل ليقف قليلاً متسائلاً :

كيف يوفق العرب إلى خلق السلم ثم لا يوفقون إلى خلق الأسماء ، فيسمونها بأسماء إيرانية بحجة أن نفوذ الفرس أدّى إلى هذا !

ثم إذا فرضنا جدلاً أن السلم لا يمت إلى الإيرانية إلا بالأسماء فقط فكيف عجز العرب إلى اليوم عن تعريبها وتسميتها بأسمائها ؟!

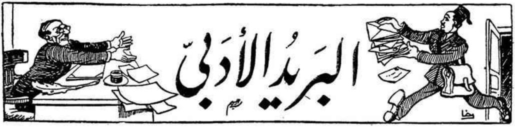
هذا من الناحية الشكلية والعقلية (للسلم) الذي لا نزال نستعمله إلى اليوم بأسمائه الإيرانية من مئات السنين . وقد حرصنا ألا نسهب فيه من الناحية التحليلية الفنية البحتة حتى لا يتسرب الملل إلى نفس القارئ ، أما من الناحية التاريخية فإن الفرس قد سبقوا العرب في الاهتمام بالموسيقى اهتماماً عظيماً حتى تأثر العرب بها تأثيراً كبيراً ، و « طويس » أول من غنى بالعربية غناء إيقاعياً ، تعلم الغناء من الفرس ، وكذلك سائب خاثر الذي تأثر بنشيط الإيراني ونقل مثل غنائه إلى العربية وحاكاه في العزف على العود بعد أن كان العرب لا يعرفون في غنائهم إلا (القضيب)

وابن مسجح الذي احتج به الدكتور هنري فارمر كان أول من نقل الغناء الفارسي إلى العربية وقد أخذ عنه ذلك — كما قلنا قبلا — ابن محرز ومعبد وابن سريج والغريض .

* * *

ولعل في هذه العجالة الصغيرة ما يعطي القارىء صورة عن الموسيقى الإيرانية ؛ وفضل الفرس في هذا الميدان الذي سبقوا جميع الشرق فيه حتى يعلم الجميع أن الموسيقى لم تقم بواجبها الحق أو لم تمكن من ذلك أمام سيد البلد الذي ترعرعت فيه الموسيقى وازدهرت ازدهاراً نقل عنه الجميع ...!

محمد السيد المويلحي



عطف ملكي كريم

تلقينا من ديوان حضرة صاحب المعالي كبير الأمناء هذا الكتاب الكريم الذي نتشرف بنشره :

حضرة المحترم الأستاذ أحمد حسن الزيات .

أتشرف بإبلاغ حضرتكم الشكر السامي على النسخة التي قدمتموها إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم من عدد الرسالة الممتاز الخاص بالهجرة .

وتقبلوا حضرتكم وافر الاحترام ؟

كبير الأمناء

تحريراً في ٢٦ مارس سنة ١٩٣٩ محمد سعيد ذو الفقار

حول انسانية الرسول

قد قرأت ما كتب الدكتور زكي مبارك في إنسانية الرسول في العدد ٢٩٧ من الرسالة الغراء ، وقرأت ما عقب به الأستاذ عبد المتعال الصعيدي في العدد ٢٩٨ ، فوجدت كلا منهما قد غلب على قلمه فغالى فأخطأ . ومغالاة الأستاذ الصعيدي وخطؤه على قلته أعجب عندي من مغالاة الدكتور زكي مبارك وخطئه على كثرته . فالدكتور لم يتضلع من علم الأزهر ولا من فقه الإسلام وإن كان قد تقدم للعالمية المؤقتة منذ عامين . والقدر الذي عرفه في الأزهر أيام كان أزهريًّا قد عفت عليه السنون الكثيرة التي قضاها خارج الأزهر في جو غير جوه الديني ، بين القاهرة وباريس . ومن هنا الغلطة التي أخذها عليه الأستاذ عبد المتعال الصعيدي من تصوره شخصية الرسول غير مدروسة حق الدرس في البيئات الإسلامية . ومن هنا المعاني الشاذة الأخرى التي يعرفها القارئ في لحن مقاله مما لا يسنده فيه كتاب ولا سنة ولا عقل : من نحو أن النبوة تكتسب ، وأن وحي السماء ينزل على قلب الإنسان كل آن لو وعاه كأنما الوحي الذي كان ينزل على الرسول صلوات الله عليه هو من هذا الذي يسميه الدكتور وحياً يهبط كل وقت من السماء !

هذا وأمثاله ليس غريباً أن يقع فيه مثل الدكتور زكي مبارك لأنه لو لم يقل هذا لقال كما تقول جماعة المسلمين . ولكن الغريب أن يقول الأستاذ عبد المتعال الصعيدي في خطابه : « والذي يعرفه المسلمون جميعاً أن الوحي لم يكن له مع النبي صلى الله عليه وسلم شأن في أمور الدنيا » . هذا غريب من القول فيه غلو كبير من غير شك ، وعبارته من غير شك أعم كثيراً من المعنى الذي إليه قصد . فتأبير النحل الذي ضربه مثلاً ليس هو كل أمور الدنيا ، ولا هو مثال لأهم أمور الدنيا ، وإنما هو مثال لدنيا الناس التي يعرفونها بالتجربة من نحو حرث وزرع وسقي وصناعة، فهذه لم يأت الدين ليعلمهم إياها وإنما وجههم إلى البحث فيها ووكلهم في التفاصيل إلى نتائج بحثهم وتجاربهم . أما غير هذا النوع من أمور الدنيا فالإسلام قد هدى الإنسان فيه ، وهداه فيه بالوحي ، كما يعرف الأستاذ من الآيات الكثيرة المتعلقة بالأحكام في القرآن . فليست هناك ناحية من نواحي الحياة إلا وقد شملها الإسلام بهديه ووحيه حتى ما يأكل الإنسان وما لا يأكل ، وما يشرب وما لا يشرب ، وما يلبس وما لا يلبس ، وما يبدي من جسده وزينته وما لا يبدي ، وحتى الاستئذان قبل الدخول والسلام عند الدخول لم يهمل الإسلام تأديب الإنسان فيه . فإذا كانت هذه الأمور وأمثالها ليست من أمور الدنيا فما هي أمور الدنيا يا ترى ؟

إن الأمثلة التي ساقها الأستاذ في خطابه على أنها من أمور الدين أكثرها من هذا القبيل كعتاب الله سبحانه لرسوله في إذنه في غزوة تبوك لبعض من استأذنه من المنافقين في القعود ، وفي قبوله الفدية ممن قبل منهم من أسرى بدر . هذا كله من أمور الدنيا في الصميم . وإذا لم يكن القتال وأموره من أمور الدنيا فماذا يكون؟ طبعاً هذا كله أيضاً من أمور الدين، وهذا بالضبط هو الدليل الذي لا ينقض على أن أمور الدنيا في الإسلام جزء من أمور الدين

بقيت نقطة في خطاب الأستاذ كان يحسن أن يحتاط لها فيستتمها ولا يتركها كما تركها . فقد قال إن أكثر العلماء جوزوا

على النبي صلوات الله عليه الاجتهاد في أمور الدين بدون الوحي « وجوزوا عليه الخطأ فيها أيضاً » وسكت عند هذا ، ولا عند هذا يكون السكوت ، فإن إطلاق القول هكذا يوهم أن كثرة العلماء أو قلتهم ترى أن بعض أحكام الدين التي جاءتنا عن الرسول يجوز أن تكون خطأ في ذاتها . هذا هو لازم القول بتجويز الخطأ على النبي في الاجتهاد من غير تنبيه إلى الحقيقة الكبرى وهي أنه مامن خطأ اجتهادي وقع فيه النبي إلا وقد نبهه إليه الوحي وصححه له . ومن هنا الأمثلة غير الكثيرة التي عاتب الله فيها رسوله في القرآن . فكل ما لم يعاتب فيه النبي ، وكل ما لم ينبّه هو صلى الله عليه وسلم الناس إلى خلافه هو من الدين طبق مراد الله سبحانه ، وإلا لأرشد سبحانه نبيه ورسوله إلى الصواب فيه

هذا ما نرى أن الأستاذ الصعيدي كان عليه أن يحتاط فيه للناس فينبه إليه حين كتب ذلك الخطاب . والسلام على الأستاذ .

محمد احمد الغمراوي

اصلاح بيتين في مجلتين

قال أديب في مجلة مشهورة شهرية : « إن قول عديّ بن زيد العبادي :

ويلومون فيك يا ابنة[1] عبدا الـ له والقلب عندكم موثوق

خطأ، والصواب: موثق »

وعدي لم يقل (موثوق) ، بل قال : موهوق ، والموهوق المحبوس ، ووهقه حبسه ، والبيت من شواهدهم

* * *

وروى (فاضل) في مجلة مشهورة أسبوعية بيتاً في أبيات لأحد الشعراء ، والبيت هو :

وقبة ملك كأن النجوم تضيءُ إليها بأسرارها

والأبيات لعلي بن الجهم صاحب (عيون المها ...) وقد حرم بيته ذاك الرواية الصحيحة في كل موضع ورد فيه ، فكتاب ذكر تضيءُ وميم النجوم في آخر الصدر ، ومجموع قال تصغى والميم المذكورة في أول العجز . وإني لموقن أن علياً قال :

وقبة ملك كأن النجو م تفضي إليها بأسرارها

وأفضى إليه بسره أعلمه به . والبيت من المتقارب ، ومن المعلوم أن بحر هذا الشعر تتلاقى فيه العروض الصحيحة (والقبض فيها أحسن من التمام) والعروض المحذوفة . وقد بلبل[2] ترتيب الصدور والأعجاز في أبيات هذا البحر كثيراً من الشعراء والأدباء — من شوقي والعقاد[1] فنازلا — لتلاقي تلك الأعاريض التي تطول وتقصر ...

(***)

مسلمو يوغوسلافيا

سيدى الأستاذ الجليل صاحب الرسالة :

قرأت مقالكم الشائق « رسالة الأزهر » وأعجبت به وهزتني نشوة الطرب لأنه بشير بعدة مقالات لعلمى بصرخاتكم الاجتماعية والدينية الاستنهاضية

بيد أنني قد رأيت في حكمك على مسلمي يوغوسلافيا شيئاً من الشدة لعل سببها عدم إلمام الذي رويتم عنه — بأحوال المسلمين هناك ، وإني مسلم عربي أعرف أحوال المسلمين في يوغوسلافيا وأدواءهم لأني عرفت القوم وعاشرتهم وأقمت بين ظهرانيهم

لذلك أعلن أن البوسنيين والهرسك وهما العنصران اللذان يدينان بالإسلام في يوغوسلافيا — لا يؤمنون بالصوفية الزائفة ولا يدينون بالخرافات، إلا أن فيهم جهالاً وفي طباعهم شيء من الشدة وفي تمسكهم بالدين شيء من العصبية لعل سببها أنهم مطوقون بالأمم الأجنبية التي لا تعتقد عقيدتهم ولا تدين بدينهم

ولئن كانوا يمتازون عن مواطنيهم بشيء فإنما يمتازون عنهم بطرابيشهم الحمراء القانية وعمائمهم البيضاء الناصعة، ثم بجرأة المسلم وعزة المؤمن والنشاط الإسلامي الذي لا يلهى بدنيا ولا يصرف عن دين

ولئن كانت العجمة والأمية تحولان بين المسلم الأوربي وبين دينه ، فطغيان العامية وانتشار الأمية ، وشظف العيش ، وأعاصير السياسة وعسف السلطات ، والأمراض الفتاكة في الشرق العربي كفيلة بصرف المسلم عن دينه والحيلولة بينه وبين فهمه .

ولقد طفت الشمال الأفريقي كله وتجولت في مصر ، والشام ، والحجاز والعراق ، واختلطت بالعامة وتغلغلت في طبقات المتعلمين فما وجدت فرقاً بين هذه الشعوب .

وما أراها أحسن حالاً من مسلمي يوغوسلافيا ولا سيما إذا صرفنا النظر عن طائفة القرويين في مراكش ، والزيتونيين في تونس، والأزهريين في مصر، وجماعة النجف الأشرف في العراق

فالمسلم العامي في يوغوسلافيا لا يختلف في عقيدته ، وعقليته ، وعاداته عن أخيه المسلم العامي في الشرق العربي، والمسلم اليوغوسلافي

(١) بعضهم يحذف ألف ابنة في النداء

(٢) بلبل في اللغة معناها هو لا أكثر مما نريده في هذا المقام

(١) إن كان نظمه في المتقارب كما سطره الأستاذ سيد قطب في مقالاته (بين العقاد والرافعي) في « الرسالة » الغراء

الذى نزح إلى الشرق ودرس اللغة العربية لا يختلف عن أخيه المسلم الأزهرى ، والمسلم اليوغوسلافى الذى تخرج فى مدارس يوغوسلافيا المدنية لا يبعد عن أخيـه المسلم المصرى الذى تخرج فى جامعة فؤاد الأول . على أن المسلم اليوغوسلافى لا يألو جهداً فى فهم دينه بواسطة العلماء والكتب المترجمة ، والتفاسير المنقولة إلى لغته أوغير لغته؛ أما كون هذه التفاسير أوتلك الكتب صحيحة أو غير صحيحة ، فهذا مانوجه السؤال عنه إلى مشيخة الأزهر .

والحقائق المرة التى نقررها والأسف يملأ جوانحنا هى أن الجهل لا يزال منتشراً بين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، وأن الذين فهموا الدين أو قاربوا نهجه من المتعلمين لم يتجاوزوا العدد القليل بعد، وأن الجهل سبب ويلات المسلمين أينما حلوا، وأن الأزهر لم يؤد رسالته على الوجه الأكمل بعد ، وأن مصر لم تقم بأعباء الزعامة الإسلامية التى تطفح بها صحفها صباح مساء ، وأن الأغلبية من المفكرين والشباب الإسلامى فى مصر لا يعلمون عن إخوانهم فى الأقطار النائية قليلاً ولا كثيراً

حمداً لك يا حضرة الأستاذ وشكراً على اهتمامك بإخوانك وعنايتك بقضيتهم . وإنا معشر الغرباء والضيوف نهيب بحضرتك وحضرات السادة قادة الفكر الإسلامى ، أن تؤدوا زكاة أقلامكم وتبذلوا لإخوانكم المسلمين شيئاً من عنايتكم وتنشروا عنهم الحقائق الصحيحة حتى يعلم قراؤكم العرب أن لهم إخواناً يمدون أيديهم للتعارف . وأملنا وطيد ورجاؤنا أكيد أن تعالج أنت القضية الإسلامية كما عالجت فى الشهور الماضية قضية القضايا (الغنى والفقر) ، ورسالتكم كفيلة إن شاء الله بتحقيق كل أمنية ، لأنها منتظرة كالحبيب، شافية كالطهر، منتشرة كالقمر، محبوبة كالعافية. ونسأل الله أن يحقق آمالنا ويصلح أعمالنا ويوفقنا إلى فهم ديننا

على محمد رفعت

مسلمون فى فنلندا

هذا عنوان المحاضرة الطريفة التى ألقاها الدكتور بشر فارس فى قاعة جمعية الشبان المسلمين فى الأسبوع الماضى . وأولئك المسلمون لم يسمع بأمرهم قبل رحلة الدكتور بشر إلى بلاد الشمال سنة ١٩٣٤ . فلما لقيهم هنالك تتبع آثارهم وفحص عن أحوالهم الدينية والثقافية والاجتماعية وبحث فى شؤونهم القومية والقانونية فخرج برسالة وجيزة نشرها سنة ١٩٣٥ باللغة الفرنسية فى مجلة الدراسات الإسلامية الصادرة فى باريس

والمحاضرة جمعت بين الوصف والإخبار والتقرير . وقد قسم المحاضر الكلام ، فتناول الدين والثقافة والقومية وشؤون المرأة على الترتيب ، ثم تلا القرار الذى به اعترفت الحكومة الفنلندية بالدين الإسلامى وأعقبه بقانون الطائفة الإسلامية الفنلندية وهو على خمس وعشرين فقرة تحدد واجب أبناء الطائفة وتعين معاملة بعضهم لبعض وغير ذلك من الشؤون الخاصة

وبعد المحاضرة أبرز الدكتور بشر بعض صور بالفانوس السحرى؛ منها صورة الإمام، وثانية لزفاف بنت الإمام، وثالثة لدكان أحد المسلمين الأغنياء، وأخرى لفرقة كرة القدم

وقد وقعت المحاضرة عند السامعين ألطف موقع لما اشتملت عليه من البيانات الجديدة فى عبارة فصيحة وأسلوب جذاب .

اللغة العربية وتدريسها فى بعض جامعات الصين

ورد من « هونغ كونغ » عاصمة الصين المؤقتة ، أن وزارة التربية والتعليم هنالك قررت تدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى ثلاث من جامعاتها ابتداء من العام الدراسى المقبل ، واختارت لهذا الغرض ثلاثة من أعضاء البعثة الصينية بالأزهر الشريف ، هم : السيد محمد مكين والسيد عبد الرحمن ناجون والسيد بدر الدين هاى ويليانغ

وسيتولى الأول تدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى الجامعة المركزية بهونغ كونغ ، والثانى فى جامعة يونان بكوتمينغ حاضرة مقاطعة يونان ، والثالث فى جامعة شمال الصين الغربى بخانغ شونغ فى مقاطعة شينسى

ونذكر لهذه المناسبة أن السيد ناجون نال شهادة العالمية من الأزهر الشريف عام ١٩٣٦ ، ونالها السيد هاى ويليانغ عام ١٩٣٧ أما السيد مكين فقد نال شهادة الأهلية من الأزهر عام ١٩٣٥ وسيتقدم لنيل أجازة التدريس من دار العلوم فى الصيف القادم

رقص ورقص

سيدى الأستاذ الزيات :

طالعت اليوم مقال الأستاذ العقاد (رقص ورقص) وقد ملأنى

الحماس والفرح وكلما اكتملت جمهرة من الإخوان قرأت على مسامعهم تلك الكلمات الحقة التي أجمع الكل على صحتها، فهو يعبر فيها عما يخالج كل مصري يهوى الموسيقى . وقد اتفق صدور المقال في يوم الذكرى الثانية عشرة بعد المائة لوفاة الموسيقي العظيم بيتهوفن ، وأحيت محطة إذاعة أنقرة (التركية) تلك الذكرى بمقطوعات من ذلك الشاعر الموسيقي . وفي اليوم السابق سمعت أغاني وطنية من محطة روما . والحقيقة أن الإنسان قد حرم على نفسه المقارنة أو المشابهة لأنها كانت تنتج الحسرة والألم

انعقد مؤتمر الموسيقى الشرقية منذ أعوام وسمع أغانينا وسجلها على أقراص احتفظت بها وزارة المعارف ، وقرر التمسك بالموسيقى المصرية لمصر ، وما كانوا إلا مؤتمرين هازئين بالموسيقى الشرقية ولا حاجة بي أن أردد شعورهم نحونا لأنه مفهوم . وقد كتبت مرة في المجلة الموسيقية أحبذ نشر الموسيقى الأسبانية لأنها سلالة من الأغاني العربية درسها الأوربيون وتتلمذوا عليها ثم كيفوها حسب طبيعتهم ، وتغنوا بهـا ، فصارت عالية تعبر عن الشعور والإحساس والعواطف . وأمامنا الموسيقى الروسية ، وهي تلائم شرقيتنا . ولم لا تبدأ مراقبة الموسيقى بوزارة المعارف في تعليم الناشئة أغاني الاطفال التي أصبحت عالية يتغنى بها الطفل الإنجليزي الألماني والهولندي وغيرهما كل بلغته ، وهي سهلة سائغة محببة للنفس. تلك كلمات سريعة أذكرها وأفوض لأستاذي العقاد وللفنان المويلحي أمر تلك المسألة الحيوية

« أسيوط » دكتور حسن إبرهيم وهبه

حول عياش بن أبي ربيعة

حضرة أستاذنا الزيات

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد قرأت بالعدد رقم ٢٩٧ من الرسالة للأستاذ كامل محمود حبيب قصة إسلام عياش بن أبي ربيعة وافتتانه ثم عودته إلى حظيرة الإسلام بعد أن نزلت الآيات : « ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم... » إلى آخر الآيات الشريفة

غير أن الحقيقة المذكورة في كل مراجع السيرة هي أن الآيات لما كتبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسلها إلى هشام ابن العاص (الثالث الذي واعدهم على الهجرة) لا إلى عياش (كما هو مذكور في قصة الأستاذ)

فعمر رضي الله عنه يقول :

— « فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص »

وقال هشام في ذلك :

— « فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى . . . » إلى آخر حديث هشام

(المنصورة) درويش الجبل

تنبيه مهم

وقع في الآية الكريمة التي استشهدت بها في آخر مقالي في العدد الماضي من الرسالة تحريف بتقديم كلمة « الكافرين » على كلمة « المنافقين » وصحتها : (إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً) فأرجو كل قارئ أن يتفضل بتصحيحها في العدد الذي عنده

الغمراوي



في سبيل العــــربية
كتاب البخلاء
للأستاذ محمود مصطفى
— ٣ —

يعلم الله أننا ما نقصد بنقدنا هذا تجريح الأستاذين الفاضلين والعالمين الجليلين العوامرى بك ، والجارم بك . فإن حقهما علينا مرعى ، ومقامهما لدينا كبير . وإنما أشفقنا على العربية التى وقفنا حياتنا على خدمتها أن يشيع فى طبقات أهليها ما اعتقدناه مجانباً للصواب ومتجانفاً من الحقيقة التى ننشدها وينشدها معنا صاحبا العزة الشارحان للكتاب

أشفقنا على الحقيقة أن يضل الناس فى أمرها ، وقد شاع الكتاب وذاع وانتشر فى شرق وغرب، وتناوله كل أديب واحتواه قمطر كل طالب . فأحببنا أن يصحح كل قارئ نسخته ليقرأه بعد ذلك سلياً وليجعله إلى الصواب محجة لا أمت فيها ولا عوج

ودليلنا على حسن النية أننا لا نعترض إلا على خطأ لا سبيل إلى التماس الصواب فيـه ، فأما الذى يحتمل الصواب ولو بوجه من الوجوه ، وأما الخطأ الذى لا يوجب ارتباكاً فى الفهم ، فقد تركنا كل ذلك اتكالاً على فهم القارئ واجتناباً لأن نتهم بالاستكثار من عد التهم والرمى بها جزافاً

فى ص ٣٣ فى رسالة سهل بن هارون التى يخاطب بهـا بنى عمه يقول :

« وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم ، وإلا إصلاح فسادكم وإبقاء النعمة عليكم . ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم فما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم »

والكلام واضح لا يحتاج إلى تفسير ، ولكن حضرتى الشارحين يأبيان إلا شرح ما لا يحتاج إلى شرح فهما يقولان :

« قوله (فيما بيننا وبينكم) . (فى) هنا للسببية أى بسبب ما بيننا وبينكم من صلة القرابة أى إن عدم خطئنا سبيل حسن النية إنما هو بسبب ما بيننا وبينكم من صلة »

وهذا كلام ظاهر التكلف : فيه تكلف فى اللفظ بإخراج لفظة (فى) عن معناها الأصلى إلى معنى السببية ، وفيه تجوز فى معنى الكلام وعدم إجراء له على وجهه المتبادر . وإنمـا المعنى المفهوم الذى تدل عليه الألفاظ بوضعها الحقيقى الأول هو : إننا لم نكن غير حسنى النية فى الأمر الذى نحدثكم فيه وهو تصويب الرأى فى البخل وعده حزماً وحيطة

هذا هو الأمر الذى بينهم وبينه وهو الذى بنى عليه رسالته من أولها إلى آخرها . أفرأيت أيها القارئ أننا لم نكن بحاجة إلى جعل فى للسببية وتفسير ما بينه وبينهم بالقرابة وهى لم يجر لها ذكر فى الرسالة؟

فى ص ٣٤ يقول سهل : « إن من أعظم الشقوة وأبعد من السعادة أن لا يزالُ يتذكر زلل المعلمين »

وفى الشرح يرتكب الشارحان خطأ ظاهراً بجعلهما أن فى قوله « أن لا يزال » مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وجملة لا يزال خبر لها . وقد تبع ذلك أن ضبطا الفعل يزال بالضم لأنه فى نظرهما لم يسبق بناصب ولا جازم ، كما تبع ذلك أيضاً أن فصلا أن من لا فى الرسم لأنها حين لا تكون ناصبة تفصل من حرف النفى

ولسنا بحاجة إلى الإطالة فى شرح هذا المقام وبيان ضرورة جعل أن مصدرية ناصبة للفعل ، لأن شرط جعلها مخففة من الثقيلة أن تكون مسبوقة بيقين أو ظن ، ولم يسبقها هنا شىء من ذلك

وهذه قصة صغيرة وردت ضمن رسالة سهل نوردها لحسنها فى ذاتها أولاً ، ولنذكر بعدها تعليقاً للشارحين على جملة منها أعرباها إعراباً غريباً ثم شرحاها شرحاً مضطرباً ينقض آخره أوله

وهذه هى القصة ص ٤٦

« حدث أحمد بن رشيد قال: كنت عند شيخ من أهل مرو وصبى له صغير يلعب بين يديه فقلت، إما عابثاً وإما ممتحناً: أطعمنى من خبزكم. قال: لا تريده، هو مر! فقلت : فاسقنى من مائكم. قال:

لا تريده، هو مالح! قلت : هات من كذا وكذا قال : لا تريده، هو كذا وكذا ، إلى أن عددت أصنافاً كثيرة . كل ذلك يعنعنيه ويبغضه إلى . فضحك أبوه وقال : ما ذنبنا ؟ هذا من علمه ما تسمع . يعني أن البخل طبع فيهم وفي أعراقهم وطينتهم »

أما الجملة التي نؤاخذهما على إعرابها وشرحها فهي « هذا من علمه ما تسمع » فقد أعرباها هكذا : هذا مبتدأ و (من علمه) جار ومجرور خبره وما بدل من ذا في هذا » وهذا الإعراب خطأ لا يبرره أي تمحك مما اعتاد المعربون أن يلجئوا إليه ، لأن الإعراب فرع المعنى كما يقولون

فلننظر قبل في المعنى الذي فهمه الشارحان من الجملة . قالا : «أي هذا الذي تسمعه ناشىء من علمه ولم يلقنه بل هو من سجيته»

وهذا كلام متناقض، كيف يكون الذي تسمعه ناشئاً من علمه ثم يكون لم يعلمه ولم يلقنه؟ وهل العلم إلا بالتعليم ، فكأنهما قالا : تعلمه ولم يتعلمه فيكونان قد أثبتا شيئاً ثم نفياه في حال واحدة

إنما المراد لقائل الكلام هو أن هذا الذي بدا من كلام الصبي لم يصل إليه من طريق التعليم ولا التلقين وإنما هو وحي الطبع وإرشاد السليقة؛ وإذا كان كذلك فهو غير داخل في باب التعلم وإنما هو إلهام وغريزة مركبة في النفس . وحضرتا الشارحين أولى منا بفهم الفرق بين الغريزة والكسب لأن هذا من مباحث علم النفس الذي طلباه في أوربا وبه امتازا على إخوانهما ونالا مناصبهما العالية

ومن أجل ذلك وجب أن تقرأ الجملة هكذا : « هذا من علمه ما تسمع » ويكون الكلام على الاستفهام الذي يراد به النفي وتكون الإشارة في « هذا » إلى الصبي . والمعنى أن هـذا الصبي لم يعلمه أحد ما صدر منه في جواب الممتحن وإنما أجاب بما ركز في طبعه وثبت في نفسه من طبيعة البخل المتوارثة في قومه

في ص ٦٦ في حديث بخيل عرف فضل ماء النخالة في شفاء السعال وفائدته في الغذاء ، فقال لامرأته : « لم لا تطبخين لعيالنا في كل غداة نخالة فإن ماءها جلاء للصدر وقوتها غذاء وعصمة ، ثم تجففين بعـد النخالة فتعود كما كانت فتبيعين إذاً الجميع بمثل الثمن الأول ونكون قد ربحنا فضل ما بين الحالين »

ويعلق الشارحان على عبارة « فتبيعين الجميع بمثل الثمن الأول » بقولهما : « الجميع أي دقيق القمح ونخالته . أما الدقيق فلأنه باق على حاله ، وأما النخالة فلأنها عادت بالجفاف كما كانت »

سبحان الله! ما رأيت تكلفاً كتكلف هذا الشرح. من أين جاء الشارحان بالدقيق وهو لم يرد له ذكر في الكلام ؟ ومن أين لهما هذا الخيال الذي تصورا به أن هـذه الأسرة قد استغنت بماء النخالة عن كل طعام وشراب فلم تعد بعد بحاجة إلى الدقيق ؟ إن أحداً لا يعقل هذا ! ! ولكن الأمر أيسر مما عسّرا وأبسط مما ركّبا، وذلك أن الرجل لما رأى في ماء النخالة غذاء وشفاء عرض له أن يستفيد من ذلك ، فتقدم إلى امرأته بأن تطبخ للعيال كل غداة نخالة ليكون في تناول حسائها غنية عن أكلة من أكلات اليوم، ثم هو يوجهها إلى تدبيره المحكم بقوله « فتبيعين إذاً الجميع بمثل الثمن الأول » يريد أنه إذا تجمع عندها مقدار صالح من مطبوخ النخالة بعد تجفيفه باعته بمثل الثمن الذي اشترته به لأن النخالة لم تتغير حالها بعد الطبخ عما كانت عليه قبله

فقد بان مقدار التعسف في هذا الشرح بتصور القمح وطحنه وإبقاء الدقيق والاستغناء بالنخالة عن كل طعام آخر وأن أصحاب هذا التـدبير قد وفقوا إلى أن يعيشوا حياتهم كلها بفرق ما بين النخالة جديدة ومطبوخة

فيا لله أيها الشارحان إذا كنتما جادين في هذا الخيال وقد اقتنعتما به ، فلم اشترى الرجل وامرأته القمح وتكلفا طحنه ثم بيع الدقيق الذي بقي بحاله والنخالة بعد طبخها ؟

أما كان يكفيهما أن يشتريا النخالة وحدها ليأخذا فائدتها ثم يبيعاها مسلوبة الفائدة فلا يكونان بحاجة إلى كل هذا التعب ؟ ولكن تكلف الشارحين وتعسفهما قد جعلهما يكلفان الرجل والمرأة كل هذه المشقة في أمر معاشهما (للكلام بقايا)

محمود مصطفى



حيـــاة الرافعي

تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان

للأستاذ محمود الخفيف

عرفت الرافعي رحمه الله ، واتصلت بيني وبينه أسباب المودة في دار الرسالة أعواماً ثلاثة ؛ وأعرف سعيداً — متعني الله بطول صحبته — معرفة وثوق وخبرة . لذلك أراني شديد الغبطة أن أقدم إلى قراء العربية كتاباً عن الرافعي جرت به يراعة سعيد ...

يعتبر هذا النوع من الكتب (كتب التراجم) من أهم أبواب الأدب عند الأمم الغربية ؛ ولقد عظمت عنايتهم بتلك المؤلفات التي يجمع الواحد فيها بين دفتيه حياة رجل كان له في الحياة الإنسانية خطره وكانت له فيها رسالته ؛ ولذلك كانت تلك الكتب واسعة الانتشار إذ يجد القراء فيها إلى جانب الدراسة والتحليل المتعة واللذة ، وأي متعة أدبيـة هي أجمل من أن تصاحب عظيماً لحظة من الزمن على صفحات كتاب ؟

ولقد صار هذا النوع من المؤلفات فناً قائماً بذاته وصارت له أصول وأوضاع كما هو الحال في القصص والشعر وغيرها من فروع الأدب ؛ فلابد فيه من الإحاطة بالموضوع عامة وفهم فن المترجم له ورسالته خاصة ، ولابد من سلامة المنطق وحسن السياق وعمق النظرة وتقصيها ؛ ولا بد من الإنصاف والنزاهة واللباقة ، ثم لابد بعد ذلك مما يجب توفره في كل أثر أدبي من استقامة الأسلوب وجماله وبلاغته

فإذا أضفت إلى ما سلف معرفة الكاتب بالمترجم له وصلته به شخصياً ، فهنا الكمال الذي لامطمع بعده ؛ وبقدر مايكون من هذه الصلة تكون قيمة الترجمة وخطرها ، ولذلك كان طبيعياً أن يعد هذا القسم الخاص من كتب التراجم أكثرها أصالة في هذا الفن وأعظمها استهواء للقراء ، بله قيمتها من حيث صحة الإسناد وصدق الرواية

والرجل العظيم ، كاتباً كان أو سياسياً أو جندياً أو ما سوى هؤلاء ، لا يعرف من آثاره أو أعماله وحدها ، فلا بد من تمام المعرفة به من درس حياته ، فمن ظروف تلك الحياة ولدت آثاره ومنها استوى له مزاجه ونشأ وجدانه

ولقد كان الرافعي فيما أرى من عظماء رجال القلم لا في مجال العربية فحسب بل في مجال الفكر البشري كله . وكان رحمه الله من ذوي الأصالة ، تجيش نفسه بالمعاني كما يتفجر الينبوع بالرائق العذب ، لأن من طبيعته أن يتفجر بهذا دون حاجة إلى مدد من غيره : فلقد حيل بينه وبين الأدب الأوربي لأنه لم يتحرك بلغة من لغاته لسانه ، وحيل بينه وبين مناقشات الناس في مجالسهم لأنها لا تنفذ في مسمعيه ، فلم يبق إلا أن يقرأ العربية ثم ينطوي على نفسه بنظر ويتدبر ...

أعجب سعيد بأدب الرافعي ثم ابتغى إليه الوسيلة حتى لقيه فنشأت بينهما صلة ، ثم توثقت الصلة فكانت مودة ، وتزايدت المودة فصارت إخاء ، ثم كان بعد ذلك ما يكون بين الصديقين الحميمين من زيادة الألفة ورفع الكلفة . وتسنى بذلك لسعيد أن يدرس الرافعي الرجل في شخصه وأن يستبطن دخيلة نفسه كما درس الرافعي الكاتب في آثار قلمه ، ومن هذه الناحية كانت ترجمته فهي كما ذكرت الناحية التي تكمل بها التراجم

وأدب الرافعي ثروة عظيمة يضم إلى تراثنا ، ودراسة هذا الأدب لاشك أمر مطلوب في ذاته لناشئة الأدب عامة ؛ ثم هو أمر لاغنى عنه للباحث المثقف شأن كل أدب رسخ أصله وامتدت فروعه

والرافعي كغيره من فطاحل الكتاب لا بد من معرفة حياته لنفهم آثاره ، بل لعله أجدر بذلك من كثيرين غيره لما أشرت إليه من صفاته ؛ هذا إلى أنه لابد في دراسته من هاد ، فلقد يعظم ويسمو أحياناً حتى ليغدو كالجبل الأشم لا بد لمن يريد ارتقاءه من دليل . اقرأ على سبيل المثال مقالاته في النبوة ، واقرأ مقالاته : رؤيا في السماء ، وابنته الصغيرة وبين خروفين وأضرابها تجد البرهان على ما أقول ؛

ولقد يرق ويسهل حتى تصبح مقالاته كأفواف الزهر ولكن لابد ممن يشير إلى سر جمالها ، ثم لقد يعمق ويدق حتى يصير كالجدول المتوارى لا سبيل إلى معرفة منبعه إلا أن يهديك إليه هاد ، خذ مثلاً لذلك مقالاته فى الجمال البائس والمشكلة ، ثم لا تنس أوراق الورد ورسائل الأحزان وأشباهها فإنك لن تفهمها حق الفهم إلا أن تعرف المنبع الذى تفجرت منه ...

ويسرنى أن أذكر أن الأستاذ سعيداً قد دلنا بكتابه على نواحى القوة والجمال فى هذا الأدب الفذ ، ثم لقد كشف لنا من أسراره وخبيآته ، وفرغ من عمله على خير ما يرجى من الجودة ، وهو بما يرشدنا ويدلنا يؤدى إلى الضاد خدمة من أجل الخدمات

هذا ويسرنى كذلك أن أذكر دون أن أتحيز إلى سعيد ، أنه قدم بكتابه هذا أقوى براهينه على أصالته ، فلقد حيل بينه كما حيل بين أستاذه وبين الأدب الغربى فى لغاته ، ومع ذلك فإنى لأشهد أن ما اتبعه فى كتابة تلك الترجمة لا يختلف فى جوهره عن أصول ذلك الفن . وفى ذلك دليل قوى كما أقول على أنه كالجواد الكريم ، لم يأت كرم أصله من المحاكاة والتعلم ، وإنما كان كرم ذلك الأصل طبيعة فيه لأنه هكذا خلق

سار سعيد سيراً منطقياً فتتبع حياة الرافعى فى مراحلها دون تعثر أو ارتباك ، ثم حلل ودرس المزاج الأدبى والنزعات الاجتماعية والسياسية التى امتاز بها عصر الرافعى ، فكانت طريقته بهذه الطريقة العلمية ، طريقة النظر والتبصر ، وبها امتاز كتابه عن تلك الكتب التى تعمد إلى مجرد الحكاية والسرد ، وإنك لتقرأ الكتاب فتحس كأنك صاحبت الرافعى وترتسم لك شخصيته قوية واضحة فتسأل هل كان مرد ذلك إلى حسن سياق الكاتب أم إلى شدة معرفته بمن يكتب عنه ، ثم لا يسعك إلا أن ترده إلى ذلك جميعاً

وثمة حسنة فى الكتاب زادتنى محبة له ، ذلك أن الدافع الأساسى إلى كتابته كما نعلم كان دافع الوفاء نحو صديق راحل فلم يحمل هذا الدافع القوى سعيداً على التحيز وعهده بصاحبه قريب، ورأيناه بصدقه وإنصافه يرينا ناحية من نواحى قوته ككاتب. ثم لقد كان يجد نفسه أمام أمور دقيقة فكانت توانيه فيها لباقة ترضى الذوق ولا تغضب الحق ...

أما أسلوب سعيد فلست بحاجة إلى أن أتحدث إلى القراء عنه ، وقد عرف القراء سعيداً بجمال أسلوبه وبلاغة بيانه قبل أن يعرفوه بكتابة هذا ، وحسبى هنا أن أشير إلى إعجابى به

وعهدى بسعيد أنه يحب فى إخلاص أن يعرف رأى المنصفين فيما يكتب فيحفل بأن يسمع ما لا يرضيهم أكثر مما يحفل بالثناء والمجاملة وهى خلة تضاف إلى محامده ، ولذلك أصارح سعيداً بأنى كنت أحب منه أن يدرس أسلوب الرافعى وطريقته دراسة نقدية.

ولقد يرد على ذلك بقوله إن لهذه الدراسة مجالاً غير هذا المجال ، وهو رأى له وجاهته بل هو رأى أكثر كتاب فن التراجم وفى مقدمتهم أميل لدوج وأندريه موروا وغيرهما ، بيد أنى شخصياً أرى أن الموضوع يكون بهذه الدراسة أتم وأجمل

ولقد طبع الأستاذ سعيد كتابه طبعاً أنيقاً متقناً فى مطبعة الرسالة وختمه بفهرست للموضوعات وثبت دقيق للأعلام والصحف والمجلات والكتب التى ورد ذكرها فيه

أهنئ الأستاذ سعيدا بكتابه الفذ الجميل وأكرر له إعجابى .

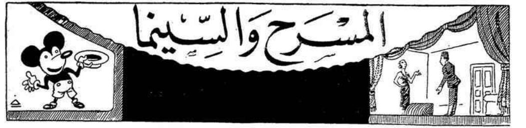
ويسرنى فى خاتمة هذه العجالة أن أشير إلى معنى آخر هو أن كتابه هذا بموضوعه وبما سلك فيه من طريقة يعتبر من مظاهر التجديد فى أدبنا العصرى ، ولذلك كم أرانى مغتبطاً بالحديث عنه فى هذا الموضوع من سجل الرسالة !

الخفيف

(بقية المنشور على صفحة ٦٥٦)

دعاباتهم ، ولكن لا أظن أن ما ذكرت يدخل فى باب الفكاهة المستملحة . وقد يكون هذا وما إليه محتملاً ، ولكن الفظيع أن ينعى لك صديق وهو حى يرزق ، فتخف إلى داره لتعزى أهله ، ويلقاك ابنه أو أخوه ، ولا ترى فى وجهه حزناً أو سهوماً ، فلا تستطيع أن تقص عليه الخبر الذى حملك إليه، ولا تجد ما تسوغ به هذه الزيارة فى ساعة غير مألوفة ! وبعض الناس يضحكهم ويسليهم هذا الضرب من المزاح ! ولم لا ؟ كل ما سر جائز ...

ابرهيم عبد القادر المازنى



حديث الأسبوع

٦٢٥ جنيهاً تصرف يومياً

على الفرقة القومية

أكدت لنا بعض المصادر العليمة أن حضرات النواب المحترمين الأساتذة عبد الحميد عبد الحق وسليمان غنام واحمد أبو الفتوح سيتقدمون في هذه الدورة بسؤال إلى معالي وزير المعارف عن الفرقة القومية والرسالة الثقافية التي أدتها للبلاد وعن مبلغ الخمسة عشر ألفاً من الجنيهات التي تصرفها الحكومة إعانة لها ... وتؤكد هذه المصادر أيضاً أن بعض النواب سينضم إلى الأساتذة مقدمي السؤال وأنهم سيطالبون بتوفير هذا المبلغ وتقديم جزء منه كإعانة للفرق الأهلية

والواقع أن هذه الفرقة يجب أن تحل لأنها تكلف ميزانية الدولة من المال مالا تستطيع أية حكومة في العالم أن تقدمه لمساعدة جميع الفرق في بلادها. وإذا عرف القارئ أن الفرقة تعمل في الموسم دورتين، وأن كل دورة تستغرق على أكثر تقدير أربعة أسابيع، وأن أيام العمل في كل أسبوع تصل إلى ثلاثة أيام لخرج بنتيجة وهي أن مدة عمل الفرقة في موسمها بأسره أربعة وعشرون يوماً. ومعنى هذا أن الحكومة تدفع لها كل يوم ٦٢٥ جنيهاً مصرياً إعانة خلاف إيجار المسرح وأجور موظفيه وثمن التيار الكهربائي المستهلك والملابس المؤجرة وغيرها

هل يعرف حضرات النواب المحترمين هذه الأرقام المخيفة ؟! إن البلاد الآن في عصر انتقال يتحتم عليها فيه أن تقضي على كل ضار فتمهد لبقاء الصالح. والتجارب العديدة أثبتت أن الفرقة القومية هزيلة الجسد لا تستطيع القيام بأعباء الرسالة الملقاة على كتفيها، وجدير بالحكومة أن تصرف الإعانة على مشروع جدي يعود بالخير على البلاد ...

تقسيم جديد

قد يعرف المتتبعون للتطورات الفنية في البلاد أن ستوديو مصر كان قد استحضر خبيراً فنياً ليقدم تقريراً عن أوجه الإصلاح اللازمة للمؤسسة الفنية الكبيرة وأن الرجل قام بعمله وقدم تقريره ثم غادر مصر إلى فرنسا ثانية

وعملت إدارة ستديو مصر على تنفيذ تقرير مسيو أفنيون الذي اقترح وجوه إصلاح عديدة وبدأت في الأسبوع الماضي تنفيذ الجزء الأول منها وهو القاضي بالتقسيم الإداري والفني وتحديد السلطات، فأصبح الأستاذ محمد رفعت مديراً للانتاج بدلا من الهر فريتز كرامب الذي أصبح مستشاراً فنياً، وأسندت مهمة المدير الإداري إلى الاستاذ رجائي، ومهمة مدير التوزيع إلى الأستاذ موريس كساب. وكل هؤلاء المديرين يعملون تحت سلطة المدير العام الاستاذ حسني نجيب

موسيقى للبيع

المفروض — فنياً — أن الجزء الأكبر من نجاح الأفلام يعود إلى إتقان الناحية الموسيقية فيها وهي ناحية لا نجد في مصر من المنتجين من يهتم بها، ولذا نشعر بالملال يسود نفوسنا في معظم الأفلام المصرية التي يعتمد فيها المنتج والمخرج وكاتب السيناريو وواضع الحوار و ... المؤلف أخيراً ... على الحوار

والواقع أن الموسيقى التصويرية في مصر تكاد أن تكون مهملة، لأن ملحنينا يتجهون إلى مناحي أخرى توفروا عليها. ولذا رأت السيدة بهيجة هانم حافظ المديرة الفنية لشركة فنار فيلم بصفتها رئيسة نقابة الموسيقيين المحترفين أن تسد هذا النقص الموجود بأن تضع عدة قطع موسيقية تصلح لشتى « المواقف » السينمية وأن تسجلها وتطبع منها نسخاً عديدة تعرض للمبيع لمن يطلبها من أصحاب الشركات التي ترى نفسها في حاجة إلى سد هذه الناحية الواجب أن تملأ بما هي جديرة به من الاهتمام والإتقان الفني

جوريس

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين ﴾